القصة

قصة تعاملات الله مع الإنسان

www.christianlib.com

جميع النصوص مأخوذة من الترجمة العربية للكتاب المقدس

١٢

محاكمة ملك

وكانَ عِندَ تمامِ السَّنَةِ، في وقتِ خُروجِ المُلوكِ (للحرب)، أنَّ داوُدَ أرسَلَ يوآبَ وعَبيدَهُ معهُ وجميعَ إسرائيلَ، فأخرَبوا بَني عَمّونَ وحاصَروا رِبَّةَ. وأمّا داوُدُ فأقامَ في أورُشَليمَ. وكانَ في وقتِ المساءِ أنَّ داوُدَ قامَ عن سريرِهِ وتَمَشَّى علَى سطحِ بَيتِ المَلِكِ، فرأى مِنْ علَى السَّطحِ امرأةً تستَحِمُّ. وكانتِ المَرأةُ جَميلَةَ المَنظَرِ جِدًّا. فأرسَلَ داوُدُ وسألَ عن المَرأةِ، فقالَ واحِدٌ: «أليستْ هذِهِ بَثشَبَعَ بنتَ أليعامَ امرأةَ أوريّا الحِثّيِّ؟». فأرسَلَ داوُدُ رُسُلًا وأخَذَها، فدَخَلَتْ إليهِ، فاضطَجَعَ معها وهي مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمثِها. ثُمَّ رَجَعَتْ إلَى بَيتِها. وحَبِلَتِ المَرأةُ، فأرسَلَتْ وأخبَرَتْ داوُدَ وقالَتْ: «إنّي حُبلَى».

فأرسَلَ داوُدُ إلَى يوآبَ يقولُ: «أرسِلْ إلَيَّ أوريّا الحِثّيَّ». فأرسَلَ يوآبُ أوريّا إلَى داوُدَ. فأتَى أوريّا إليهِ، فسألَ داوُدُ عن سلامَةِ يوآبَ وسَلامَةِ الشَّعبِ ونَجاحِ الحَربِ. وقالَ داوُدُ لأوريّا: «انزِلْ إلَى بَيتِكَ

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

واغسِلْ رِجلَيكَ». فخرجَ أوريّا مِنْ بَيتِ المَلِكِ، وخرجَتْ وراءَهُ حِصَّةٌ (هدية) مِنْ عِندِ المَلِكِ. ونامَ أوريّا علَى بابِ بَيتِ المَلِكِ مع جميعِ عَبيدِ سيِّدِهِ، ولَمْ يَنزِلْ إلَى بَيتِهِ.

فأخبَروا داوُدَ قائلينَ: «لَمْ يَنزِلْ أوريّا إلَى بَيتِهِ». فقالَ داوُدُ لأوريّا: «أما جِئتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فلماذا لَمْ تنزِلْ إلَى بَيتِكَ؟» فقالَ أوريّا لداوُدَ: «إنَّ التّابوتَ وإسرائيلَ ويَهوذا ساكِنونَ في الخيامِ، وسَيِّدي يوآبُ وعَبيدُ سيِّدي نازِلونَ علَى وجهِ الصَّحراءِ، وأنا آتي إلَى بَيتي لآكُلَ وأشرَبَ وأضطَجِعَ مع امرأتي؟ وحَياتِكَ وحياةِ نَفسِكَ، لا أفعَلُ هذا الأمرَ». فقالَ داوُدُ لأوريّا: «أقِمْ هنا اليومَ أيضًا، وغَدًا أُطلِقُكَ». فأقامَ أوريّا في أورُشَليمَ ذلكَ اليومَ وغَدَهُ. ودَعاهُ داوُدُ فأكلَ أمامَهُ وشَرِبَ وأسكَرَهُ. وخرجَ عِندَ المساءِ ليَضطَجِعَ في مَضجَعِهِ مع عَبيدِ سيِّدِهِ، وإلَى بَيتِهِ لَمْ يَنزِلْ.

وفي الصّباحِ كتَبَ داوُدُ مَكتوبًا إلَى يوآبَ وأرسَلهُ بيَدِ أوريّا. وكتَبَ في المَكتوبِ يقولُ: «اجعَلوا أوريّا في وجهِ الحَربِ الشَّديدَةِ، وارجِعوا مِنْ ورائِهِ فيُضرَبَ ويَموتَ». وكانَ في مُحاصَرَةِ يوآبَ المدينةَ أنَّهُ جَعَلَ أوريّا في المَوْضِعِ الّذي عَلِمَ أنَّ رِجالَ البأسِ فيهِ. فخرجَ رِجالُ المدينةِ وحارَبوا يوآبَ، فسقَطَ بَعضُ الشَّعبِ مِنْ عَبيدِ داوُدَ، وماتَ أوريّا الحِثّيُّ أيضًا.

فلَمّا سمِعَتِ امرأةُ أوريّا أنَّهُ قد ماتَ أوريّا رَجُلُها، نَدَبَتْ بَعلها. ولَمّا مَضَتِ المَناحَةُ أرسَلَ داوُدُ وضَمَّها إلَى بَيتِهِ، وصارَتْ لهُ امرأةً وولَدَتْ لهُ ابنًا. وأمّا الأمرُ الّذي فعَلهُ داوُدُ فقَبُحَ في عَينَيِ الرَّبِّ.

فأرسَلَ الرَّبُّ ناثانَ إلَى داوُدَ. فجاءَ إليهِ وقالَ لهُ: «كانَ رَجُلانِ في مدينةٍ واحِدَةٍ، واحِدٌ مِنهُما غَنيٌّ والآخَرُ فقيرٌ. وكانَ للغَنيِّ غَنَمٌ وبَقَرٌ

كثيرَةٌ جِدًّا. وأمّا الفَقيرُ فلَمْ يَكُنْ لهُ شَيءٌ إلا نَعجَةٌ واحِدَةٌ صَغيرَةٌ قد اقتَناها ورَبّاها وكبُرَتْ معهُ ومَعَ بَنيهِ جميعًا. تأكُلُ مِنْ لُقمَتِهِ وتَشرَبُ مِنْ كأسِهِ وتَنامُ في حِضنِهِ، وكانتْ لهُ كابنَةٍ.

فجاءَ ضَيفٌ إلَى الرَّجُلِ الغَنيِّ، فعَفا أنْ يأخُذَ مِنْ غَنَمِهِ ومِنْ بَقَرِهِ ليُهَيِّئَ للضَّيفِ الّذي جاءَ إليهِ، فأخَذَ نَعجَةَ الرَّجُلِ الفَقيرِ وهَيّأَ للرَّجُلِ الّذي جاءَ إليهِ». فحَميَ غَضَبُ داوُدَ علَى الرَّجُلِ جِدًّا، وقالَ لناثانَ: «حَيٌّ هو الرَّبُّ، إنَّهُ يُقتَلُ الرَّجُلُ الفاعِلُ ذلكَ، ويَرُدُّ النَّعجَةَ أربَعَةَ أضعافٍ لأنَّهُ فعَلَ هذا الأمرَ ولأنَّهُ لَمْ يُشفِقْ».

فقالَ ناثانُ لداوُدَ: «أنتَ هو الرَّجُلُ! هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: أنا مَسَحتُكَ مَلِكًا علَى إسرائيلَ وأنقَذتُكَ مِنْ يَدِ شاوُلَ، وأعطَيتُكَ بَيتَ سيِّدِكَ ونِساءَ سيِّدِكَ في حِضنِكَ، وأعطَيتُكَ بَيتَ إسرائيلَ ويَهوذا. وإنْ كانَ ذلكَ قَليلًا، كُنتُ أزيدُ لكَ كذا وكذا. لماذا احتَقَرتَ كلامَ الرَّبِّ لتَعمَلَ الشَّرَّ في عَينَيهِ؟ قد قَتَلتَ أوريّا الحِثّيَّ بالسَّيفِ، وأخَذتَ امرأتَهُ لكَ امرأةً، وإيّاهُ قَتَلتَ بسَيفِ بَني عَمّونَ. والآنَ لا يُفارِقُ السَّيفُ بَيتَكَ إلَى الأبدِ، لأنَّكَ احتَقَرتَني وأخَذتَ امرأةَ أوريّا الحِثّيِّ لتَكونَ لكَ امرأةً.

هكذا قالَ الرَّبُّ: هأنذا أُقيمُ علَيكَ الشَّرَّ مِنْ بَيتِكَ، وآخُذُ نِساءَكَ أمامَ عَينَيكَ وأُعطيهِنَّ لقَريبِكَ، فيَضطَجِعُ مع نِسائكَ في عَينِ هذِهِ الشَّمسِ. لأنَّكَ أنتَ فعَلتَ بالسِّرِّ وأنا أفعَلُ هذا الأمرَ قُدّامَ جميعِ إسرائيلَ وقُدّامَ الشَّمسِ». فقالَ داوُدُ لناثانَ: «قد أخطأتُ إلَى الرَّبِّ».

على عكس شاول، عندما أخطأ داود لم يحاول أن يلتمس لنفسه عذرًا، ولكنه اعترف بخطيته بكل تواضع وانكسار قلب، وسكب نفسه بانسحاق في هذه الصلاة.

اِرحَمني يا اللهُ حَسَبَ رَحمَتِكَ.
حَسَبَ كثرَةِ رأفَتِكَ امحُ مَعاصيَّ[١].
اغسِلني كثيرًا مِنْ إثمي،
ومِنْ خَطيَّتي طَهِّرني.
لأنّي عارِفٌ بمَعاصيَّ،
وخَطيَّتي أمامي دائمًا.
إلَيكَ وحدَكَ أخطأتُ،
والشَّرَّ قُدّامَ عَينَيكَ صَنَعتُ،
لكَيْ تتَبَرَّرَ في أقوالِكَ،
وتَزكوَ (تكون بلا لوم) في قَضائكَ.
هأنَذا بالإثمِ صوِّرتُ،
وبالخَطيَّةِ حَبِلَتْ بي أُمّي.
ها قد سُرِرتَ بالحَقِّ في الباطِنِ،
ففي السَّريرَةِ (باطني) تُعَرِّفُني حِكمَةً.
طَهِّرني بالزّوفا فأطهُرَ.
اغسِلني فأبيَضَّ أكثَرَ مِنَ الثَّلجِ.
أسمِعني سُرورًا وفَرَحًا،
فتبتَهِجَ عِظامٌ سحَقتَها.
استُرْ وجهَكَ عن خطاياي،
وامحُ كُلَّ آثامي.
قَلبًا نَقيًّا اخلُقْ فيَّ يا اللهُ،
وروحًا مُستَقيمًا جَدِّدْ في داخِلي.

---

١ معاصيّ: عصياني وتمردي. وهو «الخطأ الموجه ضد الله»؛ وبتعبير آخر «الخطية».

لا تطرَحني مِنْ قُدّامِ وجهِكَ،
وروحَكَ القُدّوسَ[٢] لا تنزِعهُ مِنّي.
رُدَّ لي بَهجَةَ خَلاصِكَ،
وبروحٍ مُنتَدِبَةٍ (مطيعة) اعضُدني.

لقد سقط الملك في الخطية الجنسية التي يسقط فيها كثيرون. ولكن الفارق أن الملك داود أدرك أن خطيته كسرت العلاقة بينه وبين الله. كما أدرك أيضًا أنه أحزن قلب الله بسبب خطية الطمع والشهوة والقتل التي اقترفها. والتي سببت شرخًا في علاقته القريبة بالله، وأصبح الأمر يحتاج إصلاحًا. كانت توبة داود صادقة، لكن للخطية عواقب.

فقالَ ناثانُ لداوُدَ: «الرَّبُّ أيضًا قد نَقَلَ عنكَ خَطيَّتَكَ. لا تموتُ. غَيرَ أنَّهُ مِنْ أجلِ أنَّكَ قد جَعَلتَ بهذا الأمرِ أعداءَ الرَّبِّ يَشمَتونَ، فالِابنُ المَوْلودُ لكَ يَموتُ». وذَهَبَ ناثانُ إلَى بَيتِهِ.

وضَرَبَ الرَّبُّ الوَلَدَ الّذي ولَدَتهُ امرأةُ أوريّا لداوُدَ فثَقِلَ (مرض). فسألَ داوُدُ اللهَ مِنْ أجلِ الصَّبيِّ، وصامَ داوُدُ صَوْمًا، ودَخَلَ وباتَ مُضطَجِعًا علَى الأرضِ. فقامَ شُيوخُ بَيتِهِ علَيهِ ليُقيموهُ عن الأرضِ فلَمْ يَشأْ، ولَمْ يأكُلْ معهُمْ خُبزًا. وكانَ في اليومِ السّابعِ أنَّ الوَلَدَ ماتَ، فخافَ عَبيدُ داوُدَ أنْ يُخبِروهُ بأنَّ الوَلَدَ قد ماتَ لأنَّهُمْ قالوا: «هوذا لَمّا كانَ الوَلَدُ حَيًّا كلَّمناهُ فلَمْ يَسمَعْ لصوتِنا. فكيفَ نَقولُ لهُ: قد ماتَ الوَلَدُ؟ يَعمَلُ أشَرًّا!». ورأى داوُدُ عَبيدَهُ يتَناجَوْنَ، ففَطِنَ (فهم) داوُدُ أنَّ الوَلَدَ قد ماتَ. فقالَ داوُدُ لعَبيدِهِ: «هل ماتَ الوَلَدُ؟» فقالوا: «ماتَ».

٢ روحك القدوس: روح الله الذي يسكن في كل مَن يؤمن بيسوع المسيح، ويعطي قوة للسير مع الله. الله واحد ولكننا عرفناه: الله الآب والابن يسوع المسيح والروح القدس.

فقامَ داوُدُ عن الأرضِ واغتَسَلَ وادَّهَنَ وبَدَّلَ ثيابَهُ ودَخَلَ بَيتَ الرَّبِّ وسَجَدَ.

إن الغفران يغسل جروح الخطية، لذلك بكل ندم طلب داود الغفران، واستجاب الله له، لأن الله يُقدِّر الإنسان الذي يهاب قدسيته ويحرص على علاقته به. وقد عبر داود في أحد مزاميره عن امتنانه وشكره لله على عطية الغفران.

طوبَى للّذي غُفِرَ إثمُهُ
وسُتِرَتْ خَطيَّتُهُ.
طوبَى لرَجُلٍ لا يَحسِبُ لهُ الرَّبُّ خَطيَّةً،
ولا في روحِهِ غِشٌّ.
لَمّا سكَتُّ بَلِيَتْ عِظامي
مِنْ زَفيري اليومَ كُلَّهُ،
لأنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ علَيَّ نهارًا وليلًا.
تحَوَّلَتْ رُطوبَتي (نضارتي) إلَى يُبوسةِ القَيظِ (جفاف الحر).
أعتَرِفُ لكَ بخَطيَّتي ولا أكتُمُ إثمي.
قُلتُ: «أعتَرفُ للرَّبِّ بذَنبي» وأنتَ رَفَعتَ أثامَ خَطيَّتي.
لهذا يُصَلّي لكَ كُلُّ تقيٍّ في وقتٍ يَجِدُكَ فيهِ.
عِندَ غَمارَةِ المياهِ الكَثيرَةِ إيّاهُ لا تُصيبُ.
أنتَ سِترٌ لي. مِنَ الضّيقِ تحفَظُني.
بترَنُّمِ النَّجاةِ تكتَنِفُني (تحيطني).
كثيرَةٌ هي نَكَباتُ الشِّرّيرِ،
أمّا المُتَوَكِّلُ علَى الرَّبِّ فالرَّحمَةُ تُحيطُ بهِ.

افرَحوا بالرَّبِّ وابتَهِجوا يا أيُّها الصِّدّيقونَ،
واهتِفوا يا جميعَ المُستَقيمي القُلوبِ.

وعَزَّى داوُدُ بَثشَبَعَ امرأتَهُ، ودَخَلَ إليها واضطَجَعَ معها فوَلَدَتِ ابنًا، فدَعا اسمَهُ سُلَيمانَ، والرَّبُّ أحَبَّهُ، وأرسَلَ بيَدِ ناثانَ النَّبيِّ ودَعا اسمَهُ «يَديديّا»[٣] مِنْ أجلِ الرَّبِّ.

بعد أن غُفرت خطيته، رجع داود لتمجيد الله بكل قوته، وعاد لقيادة الجيش وتحقيق الانتصارات، كانت قيادته حكيمة ومشجعة إلا أنه لم يشعر بأن هناك صراعًا خفيًا بدأ ينشأ بين أولاده. وبالرغم من فطنة داود وذكاؤه في فهم السلوك الإنساني إلا أنه لم ينجح مع ابنه أبشالوم. لقد استطاع أبشالوم ببراعة أن يهدم شعبية أبيه، ويفسد مجده السياسي. وفي النهاية تحدى أبشالوم أباه علانية مصممًا أن ينتزع منه كرسي الحكم، وتحوّل الابن الجميل لخائن.

أصبح داود أمام مشكلة لم يعهدها من قبل. إذ تمرد أحد أفراد عائلته، فأصبح عدوًا، وفي نفس الوقت هو ابنه المحبوب. كيف يحرك جيوشه ضد عدو يحبه؟ كيف توجه رمحك لقلب شخص، وأنت تعلم أن هذا الرمح سيحطم قلبك أنت أيضًا؟

وأحصَى داوُدُ الشَّعبَ الّذي معهُ، وجَعَلَ علَيهِمْ رؤَساءَ أُلوفٍ ورؤَساءَ مِئاتٍ. وأرسَلَ داوُدُ الشَّعبَ ثُلثًا بيَدِ يوآبَ، وثُلثًا بيَدِ أبيشايَ ابنِ صَرويَةَ أخي يوآبَ، وثُلثًا بيَدِ إتّايَ الجَتّيِّ. وقالَ المَلِكُ للشَّعبِ: «إنّي أنا أيضًا أخرُجُ معكُمْ». فقالَ الشَّعبُ: «لا تخرُجْ، لأنَّنا إذا هَرَبنا لا يُبالونَ بنا، وإذا ماتَ نِصفُنا لا يُبالونَ بنا. والآنَ أنتَ كعَشرَةِ آلافٍ مِنّا. والآنَ الأصلَحُ أنْ تكونَ لنا نَجدَةً مِنَ المدينةِ». فقالَ لهُمُ المَلِكُ: «ما يَحسُنُ في أعيُنِكُمْ أفعَلُهُ». فوَقَفَ المَلِكُ بجانِبِ البابِ وخرجَ جميعُ

٣ يديديا: معناه "المحبوب من الرب".

الشَّعبِ مِئاتٍ وأُلوفًا. وأوصَى المَلِكُ يوآبَ وأبيشايَ وإتّايَ قائلاً: «ترَفَّقوا لي بالفَتَى أبشالومَ». وسَمِعَ جميعُ الشَّعبِ حينَ أوصَى المَلِكُ جميعَ الرّؤَساءِ بأبشالومَ.

وخرجَ الشَّعبُ إلَى الحَقلِ لِلِقاءِ إسرائيلَ. وكانَ القِتالُ في وعرِ (غابة) أفرايِمَ، فانكَسَرَ هناكَ شَعبُ إسرائيلَ أمامَ عَبيدِ داوُدَ، وكانتْ هناكَ مَقتَلَةٌ عظيمَةٌ في ذلكَ اليومِ. قُتِلَ عِشرونَ ألفًا. وكانَ القِتالُ هناكَ مُنتَشِرًا علَى وجهِ كُلِّ الأرضِ، وزادَ الّذينَ أكلهُمُ الوَعرُ مِنَ الشَّعبِ علَى الّذينَ أكلهُمُ السَّيفُ في ذلكَ اليومِ.

وصادَفَ أبشالومُ عَبيدَ داوُدَ، وكانَ أبشالومُ راكِبًا علَى بَغلٍ، فدَخَلَ البَغلُ تحتَ أغصانِ البُطمَةِ (شجرة بلوط) العظيمَةِ المُلتَفَّةِ، فتعَلَّقَ رأسُهُ بالبُطمَةِ وعُلِّقَ بَينَ السماءِ والأرضِ، والبَغلُ الّذي تحتَهُ مَرَّ. فرآهُ رَجُلٌ وأخبَرَ يوآبَ وقالَ: «إنّي قد رأيتُ أبشالومَ مُعَلَّقًا بالبُطمَةِ». فقالَ يوآبُ للرَّجُلِ الّذي أخبَرَهُ: «إنَّكَ قد رأيتَهُ، فلماذا لَمْ تضرِبهُ هناكَ إلَى الأرضِ؟ وعلَيَّ أنْ أُعطيَكَ عَشرَةَ مِنَ الفِضَّةِ ومِنطَقَةً». فقالَ الرَّجُلُ ليوآبَ: «فلو وُزِنَ في يَدي ألفٌ مِنَ الفِضَّةِ لَما كُنتُ أمُدُّ يَدي إلَى ابنِ المَلِكِ، لأنَّ المَلِكَ أوصاكَ في آذانِنا أنتَ وأبيشايَ وإتّايَ قائلاً: احتَرِزوا أيًّا كانَ مِنكُمْ علَى الفَتَى أبشالومَ. وإلّا فكُنتُ فعَلتُ بنَفسي زورًا، إذ لا يَخفَى عن المَلِكِ شَيءٌ، وأنتَ كُنتَ وقَفتَ ضِدّي». فقالَ يوآبُ: «إنّي لا أصبِرُ هكذا أمامَكَ». فأخَذَ ثَلاثَةَ سِهامٍ بيَدِهِ ونَشَّبَها في قَلبِ أبشالومَ، وهو بَعدُ حَيٌّ في قَلبِ البُطمَةِ. وأحاطَ بها عَشرَةُ غِلمانٍ حامِلو سِلاحِ يوآبَ، وضَرَبوا أبشالومَ وأماتوهُ.

وضَرَبَ يوآبُ بالبوقِ فرَجَعَ الشَّعبُ عن اتِّباعِ إسرائيلَ، لأنَّ يوآبَ مَنَعَ الشَّعبَ. وأخَذوا أبشالومَ وطَرَحوهُ في الوَعرِ في الجُبِّ العظيمِ،

وأقاموا علَيهِ رُجمَةً عظيمَةً جِدًّا مِنَ الحِجارَةِ. وهَرَبَ كُلُّ إسرائيلَ، كُلُّ واحِدٍ إلَى خَيمَتِهِ. وكانَ أبشالومُ قد أخَذَ وأقامَ لنَفسِهِ وهو حَيٌّ النُّصبَ الّذي في وادي المَلِكِ، لأنَّهُ قالَ: «ليس ليَ ابنٌ لأجلِ تذكيرِ اسمي». ودَعا النُّصبَ باسمِهِ، وهو يُدعَى «يَدَ أبشالومَ» إلَى هذا اليومِ.

وقالَ يوآبُ لكوشي: «اذهَبْ وأخبِرِ المَلِكَ بما رأيتَ». فسجَدَ كوشي ليوآبَ ورَكَضَ.

وإذا بكوشي قد أتَى، وقالَ كوشي: «ليُبَشَّرْ سيِّدي المَلِكُ، لأنَّ الرَّبَّ قد انتقَمَ لكَ اليومَ مِنْ جميعِ القائمينَ علَيكَ». فقالَ المَلِكُ لكوشي: «أسَلامٌ للفَتَى أبشالومَ؟» فقالَ كوشي: «ليَكُنْ كالفَتَى أعداءُ سيِّدي المَلِكِ وجميعُ الّذينَ قاموا علَيكَ للشَّرِّ». فانزَعَجَ المَلِكُ وصَعِدَ إلَى عِلّيَّةِ البابِ وكانَ يَبكي ويقولُ هكَذا وهو يتَمَشَّى: «يا ابني أبشالومُ، يا ابني، يا ابني أبشالومُ! يا لَيتَني مُتُّ عِوَضًا عنكَ! يا أبشالومُ ابني، يا ابني».

وسَتَرَ المَلِكُ وجهَهُ وصَرَخَ المَلكُ بصوتٍ عظيمٍ: «يا ابني أبشالومُ، يا أبشالومُ ابني، يا ابني!».

تمرُّد أبشالوم قد انتهى، والأضرار السياسية تم إصلاحها، والآن عاد داود ليهتم بالأمر المحبب إلى قلبه. لقد كانت كلمة الرب لداود أن مَن سيبني الهيكل هو ابنه سليمان. لذلك بدأ داود بتجهيز كميات هائلة من المواد اللازمة لبناء الهيكل، لكي يسهل الأمر على سليمان ابنه عندما يبدأ في البناء. دور داود قارب على الانتهاء وحان الوقت لانتقال المُلك. فهل سيكون المستقبل مباركًا مثل الماضي؟

فقالَ داوُدُ: «هذا هو بَيتُ الرَّبِّ الإلهِ، وهذا هو مَذبَحُ المُحرَقَةِ لإسرائيلَ». وأمَرَ داوُدُ بجَمعِ الأجنَبيّينَ الّذينَ في أرضِ إسرائيلَ، وأقامَ

نَحّاتينَ لنَحتِ حِجارَةٍ مُرَبَّعَةٍ لِبناءِ بَيتِ اللهِ. وهَيَّأَ داوُدُ حَديدًا كثيرًا للمَساميرِ لمَصاريعِ الأبوابِ ولِلوُصَلِ، ونُحاسًا كثيرًا بلا وزنٍ، وخَشَبَ أرزٍ لَمْ يَكُنْ لهُ عَدَدٌ لأنَّ الصّيدونيّينَ والصّوريّينَ أتَوْا بخَشَبِ أرزٍ كثيرٍ إلَى داوُدَ. وقالَ داوُدُ: «إنَّ سُلَيمانَ ابني صَغيرٌ وغَضٌّ، والبَيتُ الّذي يُبنَى للرَّبِّ يكونُ عظيمًا جِدًّا في الاِسمِ والمَجدِ في جميعِ الأراضي، فأنا أُهَيِّئُ لهُ». فهَيَّأَ داوُدُ كثيرًا قَبلَ وفاتِهِ.

ودَعا سُلَيمانَ ابنَهُ وأوصاهُ أنْ يَبنيَ بَيتًا للرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ. وقالَ داوُدُ لسُلَيمانَ: «يا ابني، قد كانَ في قَلبي أنْ أبنيَ بَيتًا لاسمِ الرَّبِّ إلهي. فكانَ إلَيَّ كلامُ الرَّبِّ قائلًا: قد سفَكتَ دَمًا كثيرًا وعَمِلتَ حُروبًا عظيمَةً، فلا تبني بَيتًا لاسمي لأنَّكَ سفَكتَ دِماءً كثيرَةً علَى الأرضِ أمامي. هوذا يولَدُ لكَ ابنٌ يكونُ صاحِبَ راحَةٍ، وأُريحُهُ مِنْ جميعِ أعدائِهِ حَوالَيهِ، لأنَّ اسمَهُ يكونُ سُلَيمانَ[٤]. فأجعَلُ سلامًا وسَكينَةً في إسرائيلَ في أيّامِهِ. هو يَبني بَيتًا لاسمي، وهو يكونُ ليَ ابنًا، وأنا لهُ أبًا وأُثبِّتُ كُرسيَّ مُلكِهِ علَى إسرائيلَ إلَى الأبدِ.

الآنَ يا ابني، ليَكُنِ الرَّبُّ معكَ فتُفلِحَ وتَبنيَ بَيتَ الرَّبِّ إلهِكَ كما تكلَّمَ عنكَ. إنَّما يُعطيكَ الرَّبُّ فِطنَةً وفَهمًا ويوصيكَ بإسرائيلَ لحِفظِ شَريعَةِ الرَّبِّ إلهِكَ. حينَئذٍ تُفلِحُ إذا تحَفَّظتَ لعَمَلِ الفَرائضِ والأحكامِ الّتي أمَرَ بها الرَّبُّ موسَى لأجلِ إسرائيلَ. تشَدَّدْ وتَشَجَّعْ لا تخَفْ ولا ترتَعِبْ. هأنَذا في مَذَلَّتي هَيَّأتُ لبَيتِ الرَّبِّ ذَهَبًا مِئَةَ ألفِ وزنَةٍ (٣ مليون كجم)، وفِضَّةً ألفَ ألفِ وزنَةٍ (٣٠ مليون كجم)، ونُحاسًا وحَديدًا بلا وزنٍ لأنَّهُ كثيرٌ. وقَدْ هَيَّأتُ خَشَبًا وحِجارَةً فتزيدُ علَيها. وعِندَكَ كثيرونَ مِنْ عامِلي الشُّغلِ: نَحّاتينَ وبَنّائينَ ونَجّارينَ وكُلُّ

---

٤ سليمان: قد يكون هذا الاسم مشتق من كلمة عبرية معناها "سلام".

حَكيمٍ في كُلِّ عَمَلٍ. الذَّهَبُ والفِضَّةُ والنُّحاسُ والحَديدُ ليس لها عَدَدٌ. قُمْ واعمَلْ، وليَكُنِ الرَّبُّ معكَ».

وأمَرَ داوُدُ جميعَ رؤَساءِ إسرائيلَ أنْ يُساعِدوا سُلَيمانَ ابنَهُ: «أليس الرَّبُّ إلهُكُمْ معكُمْ، وقَدْ أراحَكُمْ مِنْ كُلِّ ناحيَةٍ، لأنَّهُ دَفَعَ ليَدي سُكّانَ الأرضِ فخَضَعَتِ الأرضُ أمامَ الرَّبِّ وأمامَ شَعبِهِ؟ فالآنَ اجعَلوا قُلوبَكُمْ وأنفُسَكُمْ لطَلَبِ الرَّبِّ إلهِكُمْ، وقوموا وابنوا مَقدِسَ الرَّبِّ الإلهِ، ليؤتَى بتابوتِ عَهدِ الرَّبِّ وبآنيَةِ قُدسِ اللهِ إلَى البَيتِ الّذي يُبنَى لاسمِ الرَّبِّ».

وقالَ داوُدُ المَلِكُ لكُلِّ المَجمَعِ: «إنَّ سُلَيمانَ ابني الّذي وحدَهُ اختارَهُ اللهُ، إنَّما هو صَغيرٌ وغَضٌّ، والعَمَلُ عظيمٌ لأنَّ الهَيكلَ ليس لإنسانٍ بل للرَّبِّ الإلهِ. وأنا بكُلِّ قوَّتي هَيّأتُ لبَيتِ إلهي: الذَّهَبَ لما هو مِنْ ذَهَبٍ، والفِضَّةَ لما هو مِنْ فِضَّةٍ، والنُّحاسَ لما هو مِنْ نُحاسٍ، والحَديدَ لما هو مِنْ حَديدٍ، والخَشَبَ لما هو مِنْ خَشَبٍ، وحِجارَةَ الجَزَعِ، وحِجارَةً للتَّرصيعِ، وحِجارَةً كحلاءَ ورَقماءَ، وكُلَّ حِجارَةٍ كريمَةٍ، وحِجارَةَ الرُّخامِ بكَثرَةٍ. وأيضًا لأنّي قد سُرِرتُ ببَيتِ إلهي، لي خاصَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ قد دَفَعتُها لبَيتِ إلهي فوقَ جميعِ ما هَيّأتُهُ لبَيتِ القُدسِ: ثَلاثَةَ آلافِ وزنَةِ ذَهَبٍ مِنْ ذَهَبِ أوفيرَ، وسَبعَةَ آلافِ وزنَةِ فِضَّةٍ مُصَفّاةٍ، لأجلِ تغشيَةِ حيطانِ البُيوتِ. الذَّهَبُ للذَّهَبِ، والفِضَّةُ للفِضَّةِ ولِكُلِّ عَمَلٍ بيَدِ أربابِ الصَّنائعِ. فمَنْ يَنتَدِبُ (يتطوع) اليومَ لمِلءِ يَدِهِ (ليتبرع) للرَّبِّ؟».

فانتَدَبَ رؤَساءُ الآباءِ ورؤَساءُ أسباطِ إسرائيلَ ورؤَساءُ الأُلوفِ والمِئاتِ ورؤَساءُ أشغالِ المَلِكِ، وأعطَوْا لخِدمَةِ بَيتِ اللهِ خَمسَةَ آلافِ وزنَةٍ وعشَرَةَ آلافِ دِرهَمٍ مِنَ الذَّهَبِ، وعشَرَةَ آلافِ وزنَةٍ مِنَ الفِضَّةِ،

وثَمانيَةَ عشَرَ ألفَ وزنَةٍ مِنَ النُّحاسِ، ومِئَةَ ألفِ وزنَةٍ مِنَ الحَديدِ. ومَنْ وُجِدَ عِندَهُ حِجارَةٌ أعطاها لخَزينَةِ بَيتِ الرَّبِّ عن يَدِ يَحيئيلَ الجَرشونيِّ. وفَرِحَ الشَّعبُ بانتِدابِهِمْ، لأنَّهُمْ بقَلبٍ كامِلٍ انتَدَبوا للرَّبِّ. وداوُدُ المَلِكُ أيضًا فرِحَ فرَحًا عظيمًا.

وبارَكَ داوُدُ الرَّبَّ أمامَ كُلِّ الجَماعَةِ، وقالَ داوُدُ:

«مُبارَكٌ أنتَ أيُّها الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ

أبينا مِنَ الأزَلِ وإلَى الأبدِ.

لكَ يا رَبُّ العَظَمَةُ والجَبَروتُ والجَلالُ والبَهاءُ والمَجدُ،

لأنَّ لكَ كُلَّ ما في السماءِ والأرضِ.

لكَ يا رَبُّ المُلكُ، وقَدِ ارتَفَعتَ رأسًا علَى الجميع.

والغِنَى والكَرامَةُ مِنْ لَدُنكَ (عندك)، وأنتَ تتَسَلَّطُ على الجميعِ،

وبيَدِكَ القوَّةُ والجَبَروتُ، وبيَدِكَ تعظيمُ وتَشديدُ الجميعِ.

والآنَ، يا إلهَنا نَحمَدُكَ ونُسَبِّحُ اسمَكَ الجَليلَ.

ولكن مَنْ أنا، ومَنْ هو شَعبي حتَّى نَستَطيعَ أنْ نَنتَدِبَ هكذا؟ لأنَّ مِنكَ الجميعَ ومِنْ يَدِكَ أعطَيناكَ. لأنَّنا نَحنُ غُرَباءُ أمامَكَ، ونُزَلاءُ مِثلُ كُلِّ آبائنا. أيّامُنا كالظِّلِّ علَى الأرضِ وليس رَجاءٌ. أيُّها الرَّبُّ إلهنا، كُلُّ هذِهِ الثَّروَةِ الّتي هَيّأناها لنَبنيَ لكَ بَيتًا لاسمِ قُدسِكَ، إنَّما هي مِنْ يَدِكَ، ولكَ الكلُّ. وقَدْ عَلِمتُ يا إلهي أنَّكَ أنتَ تمتَحِنُ القُلوبَ وتُسَرُّ بالاِستِقامَةِ. أنا باستِقامَةِ قَلبي انتَدَبتُ بكُلِّ هذِهِ، والآنَ شَعبُكَ المَوْجودُ هنا رأيتُهُ بفَرَحٍ يَنتَدِبُ لكَ. يا رَبُّ إلهَ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ آبائنا، احفَظْ هذِهِ إلَى الأبدِ في تصَوُّرِ أفكارِ قُلوبِ شَعبِكَ، وأعِدَّ قُلوبَهُمْ نَحوكَ. وأمّا سُلَيمانُ ابني فأعطِهِ قَلبًا كامِلًا ليَحفَظَ وصاياكَ، شَهاداتِكَ وفَرائضَكَ، وليَعمَلَ الجميعَ، وليَبنيَ الهَيكلَ الّذي هَيّأتُ لهُ».

ثُمَّ قالَ داوُدُ لكُلِّ الجَماعَةِ: «بارِكوا الرَّبَّ إلهَكُمْ». فبارَكَ كُلُّ الجَماعَةِ الرَّبَّ إلهَ آبائِهِمْ، وخَرّوا وسَجَدوا للرَّبِّ ولِلمَلِكِ.

ما هي العوامل التي تضافرت لكي تجعل من داود شخصية فريدة مميزة؟ هل هي السلطة وحب الامتلاك مثل باقي الملوك؟ كلا إنها محبة الله، فهو إنسان مملوء بالنشاط والعواطف الجياشة، ثروته كانت في أمان، وعائلته كانت كبيرة للدرجة التي وصل فيها عددهم لما يقارب قرية صغيرة. لكن العامل الذي شكَّل حياته وملأ قلبه كان حبه العميق لله. فبالنسبة له يمكنه أن يخسر كل شيء ولكن لا يخسر العلاقة مع الله. لقد أعطاه الله بغنى، وكان له أبًا محبًا وقاده في مسيرة حياته منذ طفولته وحتى الشيخوخة. لذلك فإن القصائد الشعرية التي كتبها داود رسمت لنا صورة جميلة عن علاقته المميزة بالله، الذي كان له حماية وأب وسيد.

الرَّبُّ راعيَّ فلا يُعوِزُني شَيءٌ.
في مَراعٍ خُضرٍ يُربِضُني (يسكنني).
إلَى مياهِ الرّاحَةِ يورِدُني (يقودني).
يَرُدُّ نَفسي. يَهديني إلَى سُبُلِ البِرِّ مِنْ أجلِ اسمِهِ.
أيضًا إذا سِرتُ في وادي ظِلِّ الموتِ
لا أخافُ شَرًّا، لأنَّكَ أنتَ مَعي.
عَصاكَ وعُكّازُكَ هُما يُعَزّيانِني.
تُرَتِّبُ قُدّامي مائدَةً تُجاهَ مُضايِقيَّ.
مَسَحتَ بالدُّهنِ رأسي. كأسي رَيّا (مروية).
إنَّما خَيرٌ ورَحمَةٌ يتبَعانِني كُلَّ أيّامِ حَياتي،
وأسكُنُ في بَيتِ الرَّبِّ إلَى مَدَى الأيّامِ.

كان داود يعلم أن أيامه كمحارب قد انتهت، وأن قواه وطاقته على قيادة الأمة أصبحت ضعيفة، إلا أنه ظل يؤجل فكرة انتقال السلطة إلى ابنه سليمان. إلى أن جاءت إليه زوجته المحبوبة بثشبع وهمست في أذنه: لقد حان الوقت، وبالفعل استجاب لها الملك.

١٣

ملك له كل شيء

وشاخَ المَلِكُ داوُدُ. تقَدَّمَ في الأيّامِ. وكانوا يُدَثِّرونَهُ (يغطونه) بالثّيابِ فلَمْ يَدفأْ.

دَخَلَتْ بَتشَبَعُ إلَى المَلِكِ إلَى المِخدَعِ. وكانَ المَلِكُ قد شاخَ جِدًّا وكانتْ أبيشَجُ الشّونَميَّةُ تخدِمُ المَلِكَ. فخَرَّتْ بَتشَبَعُ وسَجَدَتْ للمَلِكِ، فقالَ المَلِكُ: «ما لكِ؟» فقالَتْ لهُ «أنتَ يا سيِّدي حَلَفتَ بالرَّبِّ إلهِكَ لأمَتِكَ قائلًا: إنَّ سُلَيمانَ ابنَكِ يَملِكُ بَعدي وهو يَجلِسُ علَى كُرسيّي.

فحَلَفَ المَلِكُ وقالَ: «حَيٌّ هو الرَّبُّ الّذي فدَى نَفسي مِنْ كُلِّ ضيقَةٍ، إنَّهُ كما حَلَفتُ لكِ بالرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ قائلًا: إنَّ سُلَيمانَ ابنَكِ يَملِكُ بَعدي، وهو يَجلِسُ علَى كُرسيّي عِوَضًا عَنّي، كذلكَ أفعَلُ هذا اليومَ». فخَرَّتْ بَتشَبَعُ علَى وجهِها إلَى الأرضِ وسَجَدَتْ للمَلِكِ وقالَتْ: «ليَحيَ سيِّدي المَلِكُ داوُدُ إلَى الأبدِ».

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

ولَمّا قَرُبَتْ أيّامُ وفاةِ داوُدَ أوصَى سُلَيمانَ ابنَهُ قائلًا: «أنا ذاهِبٌ في طريقِ الأرضِ كُلِّها، فتشَدَّدْ وكُنْ رَجُلًا. اِحفَظْ شَعائرَ الرَّبِّ إلهِكَ، إذ تسيرُ في طُرُقِهِ، وتَحفَظُ فرائضَهُ، وصاياهُ وأحكامَهُ وشَهاداتِهِ، كما هو مَكتوبٌ في شَريعَةِ موسَى، لكَيْ تُفلِحَ في كُلِّ ما تفعَلُ وحَيثُما توَجَّهتَ. لكَيْ يُقيمَ الرَّبُّ كلامَهُ الّذي تكلَّمَ بهِ عَنّي قائلًا: إذا حَفِظَ بَنوكَ طريقَهُمْ وسَلكوا أمامي بالأمانَةِ مِنْ كُلِّ قُلوبِهِمْ وكُلِّ أنفُسِهِمْ، قالَ لا يُعدَمُ لكَ رَجُلٌ عن كُرسيِّ إسرائيلَ.

واضطَجَعَ داوُدُ مع آبائِهِ، ودُفِنَ في مدينةِ داوُدَ. وكانَ الزَّمانُ الّذي مَلكَ فيهِ داوُدُ علَى إسرائيلَ أربَعينَ سنَةً. في حَبرونَ مَلكَ سبعَ سِنينٍ، وفي أورُشَليمَ مَلكَ ثَلاثًا وثَلاثينَ سنَةً. وجَلَسَ سُلَيمانُ علَى كُرسيِّ داوُدَ أبيهِ، وتَثبَّتَ مُلكُهُ جِدًّا.

وصاهَرَ سُلَيمانُ فِرعَوْنَ (تزوج ابنة فرعون) مَلِكَ مِصرَ، وأخَذَ بنتَ فِرعَوْنَ وأتَى بها إلَى مدينةِ داوُدَ إلَى أنْ أكمَلَ بناءَ بَيتِهِ وبَيتِ الرَّبِّ وسورِ أورُشَليمَ حَوالَيها. إلّا أنَّ الشَّعبَ كانوا يَذبَحونَ في المُرتَفَعاتِ، لأنَّهُ لَمْ يُبنَ بَيتٌ لاسمِ الرَّبِّ إلَى تِلكَ الأيّامِ. وأحَبَّ سُلَيمانُ الرَّبَّ سائرًا في فرائضِ داوُدَ أبيهِ، إلّا أنَّهُ كانَ يَذبَحُ ويوقِدُ في المُرتَفَعاتِ.

وذَهَبَ المَلِكُ إلَى جِبعونَ ليَذبَحَ هناكَ، لأنَّها هي المُرتَفَعَةُ العُظمَى، وأصعَدَ سُلَيمانُ ألفَ مُحرَقَةٍ علَى ذلكَ المَذبَحِ. في جِبعونَ تراءَى الرَّبُّ لسُلَيمانَ في حُلمٍ ليلًا، وقالَ اللهُ: «اسألْ ماذا أُعطيكَ». فقالَ سُلَيمانُ: «إنَّكَ قد فعَلتَ مع عَبدِكَ داوُدَ أبي رَحمَةً عظيمَةً حَسبَما سارَ أمامَكَ بأمانَةٍ وبرٍّ واستِقامَةِ قَلبٍ معكَ، فحَفِظتَ لهُ هذِهِ الرَّحمَةَ العظيمَةَ وأعطَيتَهُ ابنًا يَجلِسُ علَى كُرسيِّهِ كهذا اليومِ.

والآنَ أيُّها الرَّبُّ إلهي، أنتَ مَلَّكتَ عَبدَكَ مَكانَ داوُدَ أبي، وأنا

فتىً صَغيرٌ لا أعلَمُ الخُروجَ والدُّخولَ. وعَبدُكَ في وسَطِ شَعبِكَ الّذي اختَرتَهُ، شَعبٌ كثيرٌ لا يُحصَى ولا يُعَدُّ مِنَ الكَثرَةِ. فأعطِ عَبدَكَ قَلبًا فهيمًا لأحكُمَ علَى شَعبِكَ وأُمَيِّزَ بَينَ الخَيرِ والشَّرِّ، لأنَّهُ مَنْ يَقدِرُ أنْ يَحكُمَ علَى شَعبِكَ العظيمِ هذا؟».

فحَسُنَ الكلامُ في عَينَيِ الرَّبِّ، لأنَّ سُلَيمانَ سألَ هذا الأمرَ. فقالَ لهُ اللهُ: «مِنْ أجلِ أنَّكَ قد سألتَ هذا الأمرَ، ولَمْ تسألْ لنَفسِكَ أيّامًا كثيرَةً ولا سألتَ لنَفسِكَ غِنًى، ولا سألتَ أنفُسَ أعدائكَ، بل سألتَ لنَفسِكَ تمييزًا لتَفهَمَ الحُكمَ، هوذا قد فعَلتُ حَسَبَ كلامِكَ. هوذا أعطَيتُكَ قَلبًا حَكيمًا ومُمَيِّزًا حتَّى إنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثلُكَ قَبلكَ ولا يَقومُ بَعدَكَ نَظيرُكَ. وقَدْ أعطَيتُكَ أيضًا ما لَمْ تسألهُ، غِنًى وكرامَةً حتَّى إنَّهُ لا يكونُ رَجُلٌ مِثلكَ في المُلوكِ كُلَّ أيّامِكَ. فإنْ سلكتَ في طَريقي وحَفِظتَ فرائضي ووصاياي، كما سلكَ داوُدُ أبوكَ، فإنّي أُطيلُ أيّامَكَ». فاستَيقَظَ سُلَيمانُ وإذا هو حُلمٌ. وجاءَ إلَى أورُشَليمَ ووقَفَ أمامَ تابوتِ عَهدِ الرَّبِّ وأصعَدَ مُحرَقاتٍ وقَرَّبَ ذَبائحَ سلامَةٍ، وعَمِلَ وليمَةً لكُلِّ عَبيدِهِ.

حينَئذٍ أتَتِ امرأتانِ زانيَتانِ إلَى المَلِكِ ووقَفَتا بَينَ يَدَيهِ. فقالَتِ المَرأةُ الواحِدَةُ: «استَمِعْ يا سيِّدي. إنّي أنا وهذِهِ المَرأةُ ساكِنَتانِ في بَيتٍ واحِدٍ، وقَدْ ولَدتُ معها في البَيتِ. وفي اليومِ الثّالِثِ بَعدَ وِلادَتي ولَدَتْ هذِهِ المَرأةُ أيضًا، وكُنّا مَعًا، ولَمْ يَكُنْ معنا غَريبٌ في البَيتِ غَيرَنا نَحنُ كِلتَينا في البَيتِ. فماتَ ابنُ هذِهِ في اللَّيلِ، لأنَّها اضطَجَعَتْ علَيهِ. فقامَتْ في وسَطِ اللَّيلِ وأخَذَتِ ابني مِنْ جانِبي وأمَتُكَ نائمَةٌ، وأضجَعَتهُ في حِضنِها، وأضجَعَتِ ابنَها المَيتَ في حِضني. فلَمّا قُمتُ صباحًا لأُرَضِّعَ ابني، إذا هو مَيتٌ. ولَمّا تأمَّلتُ فيهِ في الصّباحِ، إذا هو ليس ابنيَ الّذي ولَدتُهُ». وكانتِ المَرأةُ الأُخرَى تقولُ: «كلّا، بل ابنيَ

الحَيُّ وابنُكِ المَيتُ». وهذِهِ تقولُ: «لا، بل ابنُكِ المَيتُ وابنيَ الحَيُّ». وتكلَّمَتا أمامَ المَلِكِ.

فقالَ المَلِكُ: «هذِهِ تقولُ: هذا ابنيَ الحَيُّ وابنُكِ المَيتُ، وتِلكَ تقولُ: لا، بل ابنُكِ المَيتُ وابنيَ الحَيُّ». فقالَ المَلِكُ: «ايتوني بسَيفٍ». فأتَوْا بسَيفٍ بَينَ يَدَيِ المَلِكِ. فقالَ المَلِكُ: «اشطُروا (اقطعوا) الوَلَدَ الحَيَّ اثنَينِ، وأعطوا نِصفًا للواحِدَةِ ونِصفًا للأُخرَى». فتكلَّمَتِ المَرأةُ الّتي ابنُها الحَيُّ إلَى المَلِكِ، لأنَّ أحشاءَها اضطرَمَتْ علَى ابنِها، وقالَتِ: «استَمِعْ يا سيِّدي. أعطوها الوَلَدَ الحَيَّ ولا تُميتوهُ». وأمّا تِلكَ فقالَتْ: «لا يكونُ لي ولا لكِ. اُشطُروهُ». فأجابَ المَلِكُ وقالَ: «أعطوها الوَلَدَ الحَيَّ ولا تُميتوهُ فإنَّها أُمُّهُ». ولَمّا سمِعَ جميعُ إسرائيلَ بالحُكمِ الّذي حَكَمَ بهِ المَلِكُ خافوا المَلِكَ، لأنَّهُمْ رأوا حِكمَةَ اللهِ فيهِ لإجراءِ الحُكمِ.

كان الشعب في اليهودية وإسرائيل كثيرًا كرمل البحر، وكان الأكل والشرب وفيرًا جدًا، فعاشوا في سعادة. وجلس سليمان على عرش المملكة الممتدة من الفرات إلى أرض الفلسطينيين، وحتى حدود مصر. ودفع سكان هذه المناطق الجزية إلى سليمان، وظلوا خاضعين له طوال فترة حكمه.

وأعطَى اللهُ سُلَيمانَ حِكمَةً وفَهمًا كثيرًا جِدًّا، ورَحبَةَ قَلبٍ كالرَّملِ الّذي علَى شاطِئِ البحرِ. وفاقَتْ حِكمَةُ سُلَيمانَ حِكمَةَ جميعِ بَني المَشرِقِ وكُلَّ حِكمَةِ مِصرَ. وكانَ أحكَمَ مِنْ جميعِ النّاسِ، مِنْ إيثانَ الأزراحيِّ وهَيمانَ وكلكولَ ودَردَعَ بَني ماحولَ. وكانَ صيتُهُ في جميعِ الأُمَمِ حَوالَيهِ. وتكلَّمَ بثَلاثَةِ آلافِ مَثَلٍ، وكانتْ نَشائدُهُ ألفًا وخَمسًا. وتكلَّمَ عن الأشجارِ، مِنَ الأرزِ الّذي في لُبنانَ إلَى الزّوفا النّابِتِ في الحائطِ. وتكلَّمَ عن البَهائمِ وعَنِ الطَّيرِ وعَنِ الدَّبيبِ (ما يدب على الأرض)

وعَنِ السَّمَكِ. وكانوا يأتونَ مِنْ جميعِ الشُّعوبِ ليَسمَعوا حِكمَةَ سُلَيمانَ، مِنْ جميعِ مُلوكِ الأرضِ الّذينَ سمِعوا بحِكمَتِهِ.

أصبح اسم سليمان مرادفًا للحكمة، بالإضافة إلى أقوال الحكمة التي قالها والمكتوبة في سفر الأمثال، والتي تغطي كل جوانب الحياة. هذه الأمثال تقدم بطريقة عملية معنى عظمة الله وكيفية تمجيده، كذلك تقدم حكمة التصرف في المال والعمل والحياة اليومية.

أمثالُ سُلَيمانَ بنِ داوُدَ مَلِكِ إسرائيلَ:

لمَعرِفَةِ حِكمَةٍ وأدَبٍ.

لإدراكِ أقوالِ الفَهمِ.

لقُبول تأديبِ المَعرِفَةِ والعَدلِ والحَقِّ والإستِقامَةِ.

لتُعطيَ الجُهّالَ ذَكاءً،

مَخافَةُ الرَّبِّ رأسُ المَعرِفَةِ،

أمّا الجاهِلونَ فيَحتَقِرونَ الحِكمَةَ والأدَبَ.

يا ابني، إنْ قَبِلتَ كلامي وخَبّأتَ وصاياي عِندَكَ،

حتَّى تُميلَ أُذنَكَ إلَى الحِكمَةِ، وتُعَطِّفَ قَلبَكَ علَى الفَهمِ،

إنْ دَعَوْتَ المَعرِفَةَ، ورَفَعتَ صوتَكَ إلَى الفَهمِ،

إنْ طَلَبتَها كالفِضَّةِ، وبَحَثتَ عنها كالكُنوزِ،

فحينَئذٍ تفهَمُ مَخافَةَ الرَّبِّ، وتَجِدُ مَعرِفَةَ اللهِ.

لأنَّ الرَّبَّ يُعطي حِكمَةً. مِنْ فمِهِ المَعرِفَةُ والفَهمُ.

لإنقاذِكَ مِنْ طريقِ الشِّرّيرِ، ومِنَ الإنسانِ المُتَكلِّمِ بالأكاذيبِ.

يا ابني، لا تنسَ شَريعَتي،
بل ليَحفَظْ قَلبُكَ وصاياي.
فإنَّها تزيدُكَ طولَ أيّامٍ،
وسِني حياةٍ وسَلامَةً.
لا تدَعِ الرَّحمَةَ والحَقَّ يترُكانِكَ.
تقَلَّدهُما علَى عُنُقِكَ. اُكتُبهُما علَى لوحِ قَلبِكَ،
فتجِدَ نِعمَةً وفِطنَةً صالِحَةً في أعيُنِ اللهِ والنّاسِ.
توَكَّلْ علَى الرَّبِّ بكُلِّ قَلبِكَ،
وعلَى فهمِكَ لا تعتَمِدْ.
في كُلِّ طُرُقِكَ اعرِفهُ، وهو يُقَوِّمُ سُبُلَكَ.
لا تكُنْ حَكيمًا في عَينَيْ نَفسِكَ.
اتَّقِ الرَّبَّ وابعُدْ عن الشَّرِّ،
فيكونَ شِفاءً لسُرَّتِكَ، وسَقاءً لعِظامِكَ.
أكرِمِ الرَّبَّ مِنْ مالِكَ ومِنْ كُلِّ باكوراتِ غَلَّتِكَ،
فتمتَلِئَ خَزائنُكَ شِبعًا، وتَفيضَ مَعاصِرُكَ مِسطارًا.
يا ابني، لا تحتَقِرْ تأديبَ الرَّبِّ ولا تكرَهْ توبيخَهُ،
لأنَّ الّذي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يؤَدِّبُهُ، وكأبٍ بابنٍ يُسَرُّ بهِ.

أوَ يَمشي إنسانٌ علَى الجَمرِ ولا تكتَوي رِجلاهُ؟
هكذا مَنْ يَدخُلُ علَى امرأةِ صاحِبِهِ.
كُلُّ مَنْ يَمَسُّها لا يكونُ بَريئًا.

رُعبُ المَلِكِ كزَمجَرَةِ الأسَدِ.

الّذي يُغيظُهُ يُخطِئُ إلَى نَفسِهِ.

مَجدُ الرَّجُل أنْ يَبتَعِدَ عن الخِصامِ،

وكُلُّ أحمَقَ يُنازِعُ.

الكَسلانُ لا يَحرُثُ بسَبَبِ الشِّتاءِ،

فيَستَعطي في الحَصادِ ولا يُعطَى.

الصِّدّيقُ يَسلُكُ بكَمالِهِ. طوبَى لبَنيهِ بَعدَهُ.

مِعيارٌ فمِعيارٌ، مِكيالٌ فمِكيالٌ،

كِلاهُما مَكرَهَةٌ عِندَ الرَّبِّ.

لا تُحِبَّ النَّوْمَ لئَلّا تفتَقِرَ.

افتَحْ عَينَيكَ تشبَعْ خُبزًا.

يوجَدُ ذَهَبٌ وكثرَةُ لآلِئَ،

أمّا شِفاهُ المَعرِفَةِ فمَتاعٌ ثَمينٌ.

خُبزُ الكَذِبِ لَذيذٌ للإنسانِ،

ومِنْ بَعدُ يَمتَلِئُ فمُهُ حَصًى.

السّاعي بالوِشايَةِ (ناشر الإشاعات) يُفشي السِّرَّ،

فلا تُخالِطِ المُفَتِّحَ شَفَتَيهِ (كثير الكلام).

مَنْ سبَّ أباهُ أو أُمَّهُ

يَنطَفِئُ سِراجُهُ في حَدَقَةِ الظَّلامِ.

رُبَّ (ربما) مُلكٍ مُعَجَّلٍ في أوَّلِهِ (الحصول على ثروة)،

أمّا آخِرَتُهُ فلا تُبارَكُ.

لا تقُلْ: «إنّي أُجازي شَرًّا».

انتَظِرِ الرَّبَّ فيُخَلِّصَكَ.
مِنَ الرَّبِّ خَطَواتُ الرَّجُلِ،
أمّا الإنسانُ فكيفَ يَفهَمُ طريقَهُ؟
نَفسُ الإنسانِ سِراجُ الرَّبِّ،
يُفَتِّشُ كُلَّ مَخادِعِ البَطنِ (أعماق الإنسان).
فخرُ (افتخار) الشُّبّانِ قوَّتُهُمْ،
وبَهاءُ الشُّيوخِ الشَّيبُ.

قَلبُ المَلِكِ في يَدِ الرَّبِّ كجَداوِلِ مياهٍ،
حَيثُما شاءَ يُميلُهُ.
كُلُّ طُرُقِ الإنسانِ مُستَقيمَةٌ في عَينَيهِ،
والرَّبُّ وازِنُ القُلوبِ.
فِعلُ العَدلِ والحَقِّ أفضَلُ عِندَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبيحَةِ.
طُموحُ العَينَينِ وانتِفاخُ القَلبِ،
نورُ الأشرارِ خَطيَّةٌ.
أفكارُ المُجتَهِدِ إنَّما هي للخِصبِ،
وكُلُّ عَجولٍ إنَّما هو للعَوَزِ.
جَمعُ الكُنوزِ بلِسانٍ كاذِبٍ،
هو بُخارٌ مَطرودٌ لطالِبي الموتِ.
اِغتِصابُ الأشرارِ يَجرُفُهُمْ (يدمرهم)،
لأنَّهُمْ أبَوْا (رفضوا) إجراءَ العَدلِ.
نَفسُ الشِّرّيرِ تشتَهي الشَّرَّ.

قريبُهُ لا يَجِدُ نِعمَةً في عَينَيهِ.

مَنْ يَسُدُّ أُذُنيهِ عن صُراخِ المِسكينِ،

فهو أيضًا يَصرُخُ ولا يُستَجابُ.

الهَديَّةُ في الخَفاءِ تفثأُ (تهدئ) الغَضَبَ،

والرَّشوَةُ في الحِضنِ تفثأُ السَّخَطَ الشَّديدَ.

إجراءُ الحَقِّ فرَحٌ للصِّدّيقِ،

والهَلاكُ لفاعِلي الإثمِ.

مُحِبُّ الفَرَحِ إنسانٌ مُعوِزٌ.

مُحِبُّ الخمرِ والدُّهنِ لا يَستَغني (لا يكون غنيًا).

السُّكنَى في أرضٍ بَرّيَّةٍ

خَيرٌ مِنِ امرأةٍ مُخاصِمَةٍ حَرِدَةٍ (سريعة الغضب).

كنزٌ مُشتَهًى وزَيتٌ في بَيتِ الحَكيمِ،

أمّا الرَّجُلُ الجاهِلُ فيُتلِفُهُ.

التّابِعُ العَدلَ والرَّحمَةَ يَجِدُ حياةً، حَظًّا وكرامَةً.

مَنْ يَحفَظُ فمَهُ ولِسانَهُ،

يَحفَظُ مِنَ الضّيقاتِ نَفسَهُ.

ذَبيحَةُ الشِّرّيرِ مَكرَهَةٌ،

فكَمْ بالحَريِّ حينَ يُقَدِّمُها بغِشٍّ!

شاهِدُ الزّورِ يَهلِكُ،

والرَّجُلُ السّامِعُ للحَقِّ يتَكلَّمُ.

ليس حِكمَةٌ ولا فِطنَةٌ ولا مَشورَةٌ تُجاهَ الرَّبِّ.

الفَرَسُ مُعَدٌّ ليومِ الحَربِ،

أمّا النُّصرَةُ فمِنَ الرَّبِّ.

إن النجاحات العسكرية التي حققها داود الملك جعلت حدود مملكة إسرائيل آمنة. لذلك عندما تولى سليمان المُلك ركز جهوده على العلاقات الخارجية والتعمير، وبناء الهيكل. فداود كان يتوجه إلى جيرانه شاهرًا سيفه، أما سليمان فكان يتوجه إليهم بكلمات حكمة وبصفقات جيدة. لقد كان داود ملكًا محاربًا، وأما سليمان فكان رجل تعمير بارع.

وأرسَلَ حيرامُ مَلِكُ صورَ عَبيدَهُ إلَى سُلَيمانَ، لأنَّهُ سمِعَ أنهُم مَسَحوهُ مَلِكًا مَكانَ أبيهِ، لأنَّ حيرامَ كانَ مُحِبًّا لداوُدَ كُلَّ الأيّامِ. فأرسَلَ سُلَيمانُ إلَى حيرامَ يقولُ: «أنتَ تعلَمُ داوُدَ أبي أنَّهُ لَمْ يَستَطِعْ أنْ يَبنيَ بَيتًا لاسمِ الرَّبِّ إلهِهِ بسَبَبِ الحُروبِ الّتي أحاطَتْ بِهِ، حتَّى جَعَلَهُمُ الرَّبُّ تحتَ بَطنِ قَدَمَيهِ. والآنَ فقد أراحَنيَ الرَّبُّ إلهي مِنْ كُلِّ الجِهاتِ فلا يوجَدُ خَصمٌ ولا حادِثَةُ شَرٍّ. وهأنَذا قائلٌ علَى بناءِ بَيتٍ لاسمِ الرَّبِّ إلهي كما كلَّمَ الرَّبُّ داوُدَ أبي قائلًا: إنَّ ابنَكَ الّذي أجعَلُهُ مَكانَكَ علَى كُرسيِّكَ هو يَبني البَيتَ لاسمي.

والآنَ فأمُرْ أنْ يَقطَعوا لي أرزًا مِنْ لُبنانَ، ويكونُ عَبيدي مع عَبيدِكَ، وأُجرَةُ عَبيدِكَ أُعطيكَ إيّاها حَسَبَ كُلِّ ما تقولُ، لأنَّكَ تعلَمُ أنَّهُ ليس بَينَنا أحَدٌ يَعرِفُ قَطعَ الخَشَبِ مِثلَ الصّيدونيّينَ».

فلَمّا سمِعَ حيرامُ كلامَ سُلَيمانَ، فرِحَ جِدًّا وقالَ: «مُبارَكٌ اليومَ الرَّبُّ الّذي أعطَى داوُدَ ابنًا حَكيمًا علَى هذا الشَّعبِ الكَثيرِ». وأرسَلَ حيرامُ إلَى سُلَيمانَ قائلًا: «قد سمِعتُ ما أرسَلتَ بِهِ إلَيَّ. أنا أفعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِكَ في خَشَبِ الأرزِ وخَشَبِ السَّروِ. عَبيدي يُنزِلونَ ذلكَ مِنْ لُبنانَ إلَى البحرِ، وأنا أجعَلُهُ أرماثًا (كتل خشبية مربوطة ببعض) في البحرِ إلَى المَوْضِعِ الّذي تُعَرِّفُني عنهُ وأنفُضُهُ (افككه) هناكَ، وأنتَ تحمِلُهُ، وأنتَ تعمَلُ مَرضاتي بإعطائكَ طَعامًا لبَيتي».

فكانَ حيرامُ يُعطي سُلَيمانَ خَشَبَ أرزٍ وخَشَبَ سروٍ حَسَبَ كُلِّ مَسَرَّتِهِ. وأعطَى سُلَيمانُ حيرامَ عِشرينَ ألفَ كُرٍّ حِنطَةٍ طَعامًا لبَيتِهِ، وعِشرينَ كُرَّ زَيتِ رَضٍّ. هكذا كانَ سُلَيمانُ يُعطي حيرامَ سنَةً فسنَةً. والرَّبُّ أعطَى سُلَيمانَ حِكمَةً كما كلَّمَهُ. وكانَ صُلحٌ بَينَ حيرامَ وسُلَيمانَ، وقَطَعا كِلاهُما عَهدًا.

وكانَ في سنَةِ الأربَعِ مِئَةٍ والثَّمانينَ لخُروجِ بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصرَ، في السَّنَةِ الرّابِعَةِ لمُلكِ سُلَيمانَ علَى إسرائيلَ، في شَهرِ زيو وهو الشَّهرُ الثّاني، أنَّهُ بَنَى البَيتَ للرَّبِّ.

تشير مواصفات بناء الهيكل على أن طوله ٢٧ مترًا وعرضه ٩ أمتار. ورغم أنه بسيط لكنه ذو جمال مذهل وله أهميته التاريخية.

نجد في المدخل عمودين ضخمين من النحاس. ومنه إلى القدس المبني بأخشاب الأرز والسرو والزيتون، أما قدس الأقداس فقد تم تغطية جدرانه وسقفه بالذهب النقي. وتم وضع تابوت العهد في قدس الأقداس الذي لا يدخله أحد سوى رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة فقط. وكانت أقسام الهيكل هي نفسها أقسام خيمة الاجتماع التي صنعها موسى النبي أثناء رحلة بني إسرائيل في البرية. وقد استغرق بناء الهيكل ٧ سنوات، وقام بالبناء ١٨٠ ألف عامل يشرف عليهم ٤٠٠٠ مُلاحظ عمال.

وبينما كان إيقاع المطرقة والأزميل يدوي في المحاجر، كان هدوء مهيب في موقع الهيكل انتظارًا لافتتاح بيت الرب.

وأُكمِلَ جميعُ العَمَلِ الّذي عَمِلهُ المَلِكُ سُلَيمانُ لبَيتِ الرَّبِّ. وأدخَلَ سُلَيمانُ أقداسَ داوُدَ أبيهِ: الفِضَّةَ والذَّهَبَ والآنيَةَ، وجَعَلها في خَزائنِ بَيتِ الرَّبِّ.

حينَئِذٍ جَمَعَ سُلَيمانُ شُيوخَ إسرائيلَ وكُلَّ رؤوسِ الأسباطِ، رؤَساءَ الآباءِ مِنْ بَني إسرائيلَ إلَى المَلِكِ سُلَيمانَ في أورُشَليمَ، لإصعادِ تابوتِ عَهدِ الرَّبِّ مِنْ مدينةِ داوُدَ، هي صِهيَوْنُ. فاجتَمَعَ إلَى المَلِكِ سُلَيمانَ جميعُ رِجالِ إسرائيلَ في العيدِ في شَهرِ أيثانيمَ، هو الشَّهرُ السّابِعُ. وجاءَ جميعُ شُيوخِ إسرائيلَ، وحَمَلَ الكهنةُ التّابوتَ. وأصعَدوا تابوتَ الرَّبِّ وخَيمَةَ الاِجتِماعِ مع جميعِ آنيَةِ القُدسِ الّتي في الخَيمَةِ، فأصعَدَها الكهنةُ واللاويّونَ. والمَلِكُ سُلَيمانُ وكُلُّ جَماعَةِ إسرائيلَ المُجتَمِعينَ إليهِ معهُ أمامَ التّابوتِ، كانوا يَذبَحونَ مِنَ الغَنَمِ والبَقَرِ ما لا يُحصَى ولا يُعَدُّ مِنَ الكَثرَةِ. وأدخَلَ الكهنةُ تابوتَ عَهدِ الرَّبِّ إلَى مَكانِهِ في مِحرابِ البَيتِ في قُدسِ الأقداسِ، إلَى تحتِ جَناحَيِ الكَروبَين.

وكانَ لَمّا خرجَ الكهنةُ مِنَ القُدس، لأنَّ جميعَ الكهنةِ المَوْجودينَ تقَدَّسوا، لَمْ تُلاحَظِ (يراعي تقسيم) الفِرَقُ. واللاويّونَ المُغَنّونَ أجمَعونَ: آسافُ وهَيمانُ ويَدوثونُ وبَنوهُم وإخوَتُهُمْ، لابِسينَ كتّانًا، بالصُّنوجِ والرَّبابِ والعيدانِ (آلات موسيقية) واقِفينَ شَرقيَّ المَذبَحِ، ومَعَهُمْ مِنَ الكهنةِ مِئَةٌ وعِشرونَ يَنفُخونَ في الأبواقِ. وكانَ لَمّا صَوَّتَ المُبَوِّقونَ والمُغَنّونَ كواحِدٍ صوتًا واحِدًا لتَسبيحِ الرَّبِّ وحَمدِهِ، ورَفَعوا صوتًا بالأبواقِ والصُّنوجِ وآلاتِ الغِناءِ والتَّسبيحِ للرَّبِّ:

«لأنَّهُ صالِحٌ

لأنَّ إلَى الأبدِ رَحمَتَهُ».

أنَّ البَيتَ، بَيتَ الرَّبِّ، امتَلأَ سحابًا. ولَمْ يَستَطِعِ الكهنةُ أنْ يَقِفوا للخِدمَةِ بسَبَبِ السَّحابِ، لأنَّ مَجدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيتَ اللهِ.

حينَئِذٍ قالَ سُلَيمانُ: «قالَ الرَّبُّ إنَّهُ يَسكُنُ في الضَّبابِ. وأنا بَنَيتُ

لكَ بَيتَ سُكنَى مَكانًا لسُكناكَ إلَى الأبدِ». وحَوَّلَ المَلِكُ وجهَهُ وبارَكَ كُلَّ جُمهورِ إسرائيلَ، وكُلُّ جُمهورِ إسرائيلَ واقِفٌ.

ووقَفَ سُلَيمانُ أمامَ مَذبَحِ الرَّبِّ تُجاهَ كُلِّ جَماعَةِ إسرائيلَ، وبَسَطَ يَدَيهِ إلَى السماءِ وقالَ: «أيُّها الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ، ليس إلهٌ مِثلكَ في السماءِ مِنْ فوقُ، ولا علَى الأرضِ مِنْ أسفَلُ، حافِظُ العَهدِ والرَّحمَةِ لعَبيدِكَ السّائرينَ أمامَكَ بكُلِّ قُلوبِهِمْ. الّذي قد حَفِظتَ لعَبدِكَ داوُدَ أبي ما كلَّمتَهُ بهِ، فتكلَّمتَ بفَمِكَ وأكمَلتَ بيَدِكَ كهذا اليومِ.

لأنَّهُ هل يَسكُنُ اللهُ حَقًّا مع الإنسانِ علَى الأرضِ؟ هوذا السماواتُ وسَماءُ السماواتِ لا تسَعُكَ، فكمْ بالأقَلِّ هذا البَيتُ الّذي بَنَيتُ! فالتَفِتْ إلَى صَلاةِ عَبدِكَ وإلَى تضَرُّعِهِ أيُّها الرَّبُّ إلهي، واسمَعِ الصُّراخَ والصَّلاةَ الّتي يُصَلّيها عَبدُكَ أمامَكَ. لتَكونَ عَيناكَ مَفتوحَتَينِ علَى هذا البَيتِ نهارًا وليلًا علَى المَوْضِعِ الّذي قُلتَ إنَّكَ تضَعُ اسمَكَ فيهِ، لتَسمَعَ الصَّلاةَ الّتي يُصَلّيها عَبدُكَ في هذا المَوْضِعِ. واسمَعْ تضَرُّعاتِ عَبدِكَ وشَعبِكَ إسرائيلَ الّذينَ يُصَلّونَ في هذا المَوْضِعِ، واسمَعْ أنتَ مِنْ مَوْضِعِ سُكناكَ مِنَ السماءِ، وإذا سمِعتَ فاغفِرْ.

الآنَ يا إلهي لتَكُنْ عَيناكَ مَفتوحَتَينِ، وأُذُناكَ مُصغيَتَينِ لصَلاةِ هذا المَكانِ.

والآنَ قُمْ أيُّها الرَّبُّ الإلهُ إلَى راحَتِكَ
أنتَ وتابوتُ عِزِّكَ.
كهَنَتُكَ أيُّها الرَّبُّ الإلهُ يَلبِسونَ الخَلاصَ،
وأتقياؤُكَ يَبتَهِجونَ بالخَيرِ.
أيُّها الرَّبُّ الإلهُ، لا تَرُدَّ وجهَ مَسيحِكَ.
اذكُرْ مَراحِمَ داوُدَ عَبدِكَ».

ولَمّا انتَهَى سُلَيمانُ مِنَ الصَّلاةِ، نَزَلَتِ النّارُ مِنَ السماءِ وأكلَتِ المُحرَقَةَ والذَّبائحَ، ومَلأَ مَجدُ الرَّبِّ البَيتَ. ولَمْ يَستَطِع الكهنةُ أنْ يَدخُلوا بَيتَ الرَّبِّ لأنَّ مَجدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيتَ الرَّبِّ. وكانَ جميعُ بَني إسرائيلَ يَنظُرونَ عِندَ نُزول النّارِ ومَجدِ الرَّبِّ علَى البَيتِ، وخَرّوا علَى وُجوهِهِمْ إلَى الأرضِ علَى البَلاطِ المُجَزَّعِ، وسَجَدوا وحَمَدوا الرَّبَّ

لأَنَّهُ صالِحٌ

وإلَى الأبدِ رَحمَتُهُ.

وكانَ لَمّا انتَهَى سُلَيمانُ مِنَ الصَّلاةِ إلَى الرَّبِّ بكُلِّ هذِهِ الصَّلاةِ والتَّضَرُّعِ، أنَّهُ نَهَضَ مِنْ أمامِ مَذبَحِ الرَّبِّ، مِنَ الجُثوِّ علَى رُكبَتَيهِ، ويَداهُ مَبسوطَتانِ نَحوَ السماءِ، ووقَفَ وبارَكَ كُلَّ جَماعَةِ إسرائيلَ بصوتٍ عالٍ قائلًا: «مُبارَكٌ الرَّبُّ الّذي أعطَى راحَةً لشَعبِهِ إسرائيلَ حَسَبَ كُلِّ ما تكلَّمَ بهِ، ولَمْ تسقُطْ كلِمَةٌ واحِدَةٌ مِنْ كُلِّ كلامِهِ الصّالِحِ الّذي تكلَّمَ بهِ عن يَدِ موسَى عَبدِهِ. ليَكُنِ الرَّبُّ إلهنا معنا كما كانَ مع آبائنا فلا يترُكَنا ولا يَرفُضَنا. ليَميلَ بقُلوبنا إليهِ لكَيْ نَسيرَ في جميعِ طُرُقِهِ ونَحفَظَ وصاياهُ وفَرائضَهُ وأحكامَهُ الّتي أوصَى بها آباءَنا. وليَكُنْ كلامي هذا الّذي تضَرَّعتُ بهِ أمامَ الرَّبِّ قريبًا مِنَ الرَّبِّ إلهِنا نهارًا وليلًا، ليَقضيَ قَضاءَ عَبدِهِ وقَضاءَ شَعبِهِ إسرائيلَ، أمرَ كُلِّ يومٍ في يومِهِ. ليَعلَمَ كُلُّ شُعوبِ الأرضِ أنَّ الرَّبَّ هو اللهُ وليس آخَرُ. فليَكُنْ قَلبُكُمْ كامِلًا لَدَى الرَّبِّ إلهِنا إذ تسيرونَ في فرائضِهِ وتَحفَظونَ وصاياهُ كهذا اليومِ».

ثُمَّ إنَّ المَلِكَ وكُلَّ الشَّعبِ ذَبَحوا ذَبائحَ أمامَ الرَّبِّ. وذَبَحَ المَلِكُ سُلَيمانُ ذَبائحَ مِنَ البَقَرِ اثنَينِ وعِشرينَ ألفًا، ومِنَ الغَنَمِ مِئَةً وعِشرينَ ألفًا، ودَشَّنَ المَلِكُ وكُلُّ الشَّعبِ بَيتَ اللهِ.

وأكمَلَ سُلَيمانُ بَيتَ الرَّبِّ وبَيتَ المَلِكِ. وكُلَّ ما خَطَرَ ببالِ سُلَيمانَ أنْ يَعمَلهُ في بَيتِ الرَّبِّ وفي بَيتِهِ نَجَحَ فيهِ.

وتَراءَى الرَّبُّ لسُلَيمانَ ليلاً وقالَ لهُ: «قد سمِعتُ صَلاتَكَ، واختَرتُ هذا المَكانَ لي بَيتَ ذَبيحَةٍ. إنْ أغلَقتُ السماءَ ولَمْ يَكُنْ مَطَرٌ، وإنْ أمَرتُ الجَرادَ أنْ يأكُلَ الأرضَ، وإنْ أرسَلتُ وبأً علَى شَعبي، فإذا تواضَعَ شَعبي الّذينَ دُعيَ اسمي علَيهِمْ وصَلَّوْا وطَلَبوا وجهي، ورَجَعوا عن طُرُقِهِم الرَّديةِ فإنَّني أسمَعُ مِنَ السماءِ وأغفِرُ خَطيَّتَهُمْ وأُبرِئُ أرضَهُمْ. الآنَ عَينايَ تكونانِ مَفتوحَتَينِ، وأُذُنايَ مُصغيَتَينِ إلَى صَلاةِ هذا المَكانِ. والآنَ قد اختَرتُ وقَدَّستُ هذا البَيتَ ليكونَ اسمي فيهِ إلَى الأبدِ، وتَكونُ عَينايَ وقَلبي هناكَ كُلَّ الأيّامِ.

وأنتَ إنْ سلكتَ أمامي كما سلكَ داوُدُ أبوكَ، وعَمِلتَ حَسَبَ كُلِّ ما أمَرتُكَ بهِ، وحَفِظتَ فرائضي وأحكامي، فإنّي أُثبِّتُ كُرسيَّ مُلكِكَ كما عاهَدتُ داوُدَ أباكَ قائلاً: لا يُعدَمُ لكَ رَجُلٌ يتَسَلَّطُ علَى إسرائيلَ. ولكن إنِ انقَلَبتُمْ وتَرَكتُمْ فرائضي ووصاياَيَ الّتي جَعَلتُها أمامَكُمْ، وذَهَبتُمْ وعَبَدتُمْ آلِهَةً أُخرَى وسَجَدتُمْ لها، فإنّي أقلَعُهُمْ مِنْ أرضي الّتي أعطَيتُهُمْ إيّاها، وهذا البَيتُ الّذي قَدَّستُهُ لاسمي أطرَحُهُ مِنْ أمامي وأجعَلُهُ مَثَلاً وهُزأةً في جميعِ الشُّعوبِ. وهذا البَيتُ الّذي كانَ مُرتَفِعًا، كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بهِ يتَعَجَّبُ ويقولُ: لماذا عَمِلَ الرَّبُّ هكذا لهذِهِ الأرضِ ولِهذا البَيتِ؟ فيقولونَ: مِنْ أجلِ أنهُم تَرَكوا الرَّبَّ إلهَ آبائِهِمِ الّذي أخرَجَهُمْ مِنْ أرضِ مِصرَ، وتَمَسَّكوا بآلِهَةٍ أُخرَى وسَجَدوا لها وعَبَدوها، لذلكَ جَلَبَ علَيهِمْ كُلَّ هذا الشَّرِّ».

إن الزخارف الذهبية ونقوش خشب الأرز أعطت بهاءً وجمالاً لهيكل الرب وكانت بمثابة هدية من الجمال لأجيال كثيرة. ولكن

الله أكد على سليمان أن ما يرضيه أكثر هو كمال الإنسان واستقامة قلبه وإيمانه وطاعته. ولقد سمع سليمان هذا الكلام وصدقه وعاشه ولم ينساق لمدح المعجبين. وأتى زائرون من أماكن عديدة يطلبون مقابلة هذا الملك المشهور.

وسَمِعَتْ مَلِكَةُ سبا بخَبَرِ سُلَيمانَ لمَجدِ الرَّبِّ، فأتَتْ لتَمتَحِنهُ بمَسائلَ. فأتَتْ إلَى أورُشَليمَ بمَوْكِبٍ عظيمٍ جِدًّا، بجِمالٍ حامِلَةٍ أطيابًا وذَهَبًا كثيرًا جِدًّا وحِجارَةً كريمَةً. وأتتْ إلَى سُلَيمانَ وكلَّمَتهُ بكُلِّ ما كانَ بقَلبِها. فأخبَرَها سُلَيمانُ بكُلِّ كلامِها. لَمْ يَكُنْ أمرٌ مَخفيًّا عن المَلِكِ لَمْ يُخبِرها بهِ. فلَمّا رأتْ مَلِكَةُ سبا كُلَّ حِكمَةِ سُلَيمانَ، والبَيتَ الّذي بَناهُ، وطَعامَ مائدَتِهِ، ومَجلِسَ عَبيدِهِ، ومَوْقِفَ خُدّامِهِ ومَلابِسَهُمْ، وسُقاتَهُ، ومُحرَقاتِهِ الّتي كانَ يُصعِدُها في بَيتِ الرَّبِّ، لَمْ يَبقَ فيها روحٌ بَعدُ.

فقالَتْ للمَلِكِ: «صَحيحًا كانَ الخَبَرُ الّذي سمِعتُهُ في أرضي عن أُمورِكَ وعَنْ حِكمَتِكَ. ولَمْ أُصَدِّقِ الأخبارَ حتَّى جِئتُ وأبصَرَتْ عَيناياَ، فهوذا النِّصفُ لَمْ أُخبَرْ بهِ. زِدتَ حِكمَةً وصَلاحًا علَى الخَبَرِ الّذي سمِعتُهُ. طوبَى لرِجالِكَ وطوبَى لعَبيدِكَ هؤُلاءِ الواقِفينَ أمامَكَ دائمًا السّامِعينَ حِكمَتَكَ. ليَكُنْ مُبارَكًا الرَّبُّ إلهُكَ الّذي سُرَّ بكَ وجَعَلكَ علَى كُرسيِّ إسرائيلَ. لأنَّ الرَّبَّ أحَبَّ إسرائيلَ إلَى الأبدِ جَعَلكَ مَلِكًا، لتُجريَ حُكمًا وبرًّا». وأعطَتِ المَلِكَ مِئَةً وعِشرينَ وزنَةَ ذَهَبٍ وأطيابًا كثيرَةً جِدًّا وحِجارَةً كريمَةً. لَمْ يأتِ بَعدُ مِثلُ ذلكَ الطّيبِ في الكَثرَةِ، الّذي أعطَتهُ مَلِكَةُ سبا للمَلِكِ سُلَيمانَ.

وأعطَى المَلِكُ سُلَيمانُ لمَلِكَةِ سبا كُلَّ مُشتَهاها الّذي طَلَبَتْ، عَدا ما أعطاها إيّاهُ حَسَبَ كرَمِ المَلِكِ سُلَيمانَ. فانصَرَفَتْ وذَهَبَتْ إلَى أرضِها هي وعَبيدُها.

وكانَ وزنُ الذَّهَبِ الّذي أتَى سُلَيمانَ في سنَةٍ واحِدَةٍ سِتَّ مِئَةٍ وسِتًّا وسِتّينَ وزنَةَ ذَهَبٍ. ما عَدا الّذي مِنْ عِندِ التُّجّارِ وتِجارَةِ التُّجّارِ وجميعِ مُلوكِ العَرَبِ ووُلاةِ الأرضِ. وعَمِلَ المَلِكُ سُلَيمانُ مِئَتَيْ تُرسٍ مِنْ ذَهَبٍ مُطَرَّقٍ، خَصَّ التُّرسَ الواحِدَ سِتُّ مِئَةِ شاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ. وثَلاثَ مِئَةِ مِجَنٍّ مِنْ ذَهَبٍ مُطَرَّقٍ. خَصَّ المِجَنَّ ثَلاثَةُ أمناءٍ مِنَ الذَّهَبِ. وجَعَلها سُلَيمانُ في بَيتِ وعرِ لُبنانَ. وعَمِلَ المَلِكُ كُرسيًّا عظيمًا مِنْ عاجٍ وغَشّاهُ بذَهَبٍ إبريزٍ. ولِلكُرسيِّ سِتُّ دَرَجاتٍ. ولِلكُرسيِّ رأسٌ مُستَديرٌ مِنْ ورائِهِ، ويَدانِ مِنْ هنا ومِنْ هناكَ علَى مَكانِ الجُلوسِ، وأسَدانِ واقِفانِ بجانِبِ اليَدَينِ. واثنا عشَرَ أسَدًا واقِفَةً هناكَ علَى الدَّرَجاتِ السِّتِّ مِنْ هنا ومِنْ هناكَ. لَمْ يُعمَلْ مِثلُهُ في جميعِ المَمالِكِ. وجميعُ آنيَةِ شُربِ المَلِكِ سُلَيمانَ مِنْ ذَهَبٍ، وجميعُ آنيَةِ بَيتِ وعرِ لُبنانَ مِنْ ذَهَبٍ خالِصٍ، لا فِضَّةٍ، هي لَمْ تُحسَبْ شَيئًا في أيّامِ سُلَيمانَ. لأنَّهُ كانَ للمَلِكِ في البحرِ سُفُنُ ترشيشَ مع سُفُنِ حيرامَ. فكانتْ سُفُنُ ترشيشَ تأتي مَرَّةً في كُلِّ ثَلاثِ سنَواتٍ. أتَتْ سُفُنُ ترشيشَ حامِلَةً ذَهَبًا وفِضَّةً وعاجًا وقُرودًا وطَواويسَ.

فتعاظَمَ المَلِكُ سُلَيمانُ علَى كُلِّ مُلوكِ الأرضِ في الغِنَى والحِكمَةِ. وكانتْ كُلُّ الأرضِ مُلتَمِسَةً وجهَ سُلَيمانَ لتَسمَعَ حِكمَتَهُ الّتي جَعَلها اللهُ في قَلبِهِ. وكانوا يأتونَ كُلُّ واحِدٍ بهَديَّتِهِ، بآنيَةِ فِضَّةٍ وآنيَةِ ذَهَبٍ وحُلَلٍ وسِلاحٍ وأطيابٍ وخَيلٍ وبغالٍ سنَةً فسنَةً. وجَمَعَ سُلَيمانُ مَراكِبَ وفُرسانًا، فكانَ لهُ ألفٌ وأربَعُ مِئَةِ مَركَبَةٍ، واثنا عشَرَ ألفَ فارِسٍ، فأقامَهُمْ في مُدُنِ المَراكِبِ ومَعَ المَلِكِ في أورُشَليمَ. وجَعَلَ المَلِكُ الفِضَّةَ في أورُشَليمَ مِثلَ الحِجارَةِ، وجَعَلَ الأرزَ مِثلَ الجُمَّيزِ الّذي في السَّهلِ في الكَثرَةِ. وكانَ مَخرَجُ الخَيلِ الّتي لسُلَيمانَ مِنْ مِصرَ.

وجَماعَةُ تُجّارِ المَلِكِ أخَذوا جَليبَةً بثَمَنٍ. وكانتِ المَركَبَةُ تصعَدُ وتَخرُجُ مِنْ مِصرَ بسِتِّ مِئَةِ شاقِلٍ مِنَ الفِضَّةِ، والفَرَسُ بمِئَةٍ وخَمسينَ. وهكذا لجميعِ مُلوكِ الحِثّيّينَ ومُلوكِ أرامَ كانوا يُخرِجونَ عن يَدِهِمْ.

كان تعدد الزوجات في عهد سليمان يعتبر شيئًا عاديًا (لكنه لم يكون مقبولاً لدى الله)، وكغيره من الملوك اتخذ سليمان لنفسه زوجات كثيرات، ولأن بعضهن أجنبيات، وأملن قلبه، فقد جعله ذلك يتساهل مع عبادة الأوثان. قرار سيئ من شخص مفترض أنه حكيم. وكانت هذه بداية النهاية.

وأحَبَّ المَلِكُ سُلَيمانُ نِساءً غَريبَةً كثيرَةً مع بنتِ فِرعَوْنَ: موآبيّاتٍ وعَمّونيّاتٍ وأدوميّاتٍ وصيدونيّاتٍ وحِثّيّاتٍ مِنَ الأُمَمِ الّذينَ قالَ عنهُمُ الرَّبُّ لبَني إسرائيلَ: «لا تدخُلونَ إليهِمْ وهُم لا يَدخُلونَ إلَيكُمْ، لأنَّهُمْ يُميلونَ قُلوبَكُمْ وراءَ آلِهَتِهِمْ». فالتَصَقَ سُلَيمانُ بهؤُلاءِ بالمَحَبَّةِ. وكانتْ لهُ سبعُ مِئَةٍ مِنَ النِّساءِ السَّيِّداتِ، وثَلاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّراريِّ، فأمالَتْ نِساؤُهُ قَلبَهُ. وكانَ في زَمانِ شَيخوخَةِ سُلَيمانَ أنَّ نِساءَهُ أمَلنَ قَلبَهُ وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى، ولَمْ يَكُنْ قَلبُهُ كامِلًا مع الرَّبِّ إلهِهِ كقَلبِ داوُدَ أبيهِ. فذَهَبَ سُلَيمانُ وراءَ عَشتورَثَ إلهَةِ الصّيدونيّينَ، ومَلكومَ رِجسِ العَمّونيّينَ. وعَمِلَ سُلَيمانُ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ، ولَمْ يتبَعِ الرَّبَّ تمامًا كداوُدَ أبيهِ.

فغَضِبَ الرَّبُّ علَى سُلَيمانَ لأنَّ قَلبَهُ مالَ عن الرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ الّذي تراءَى لهُ مَرَّتَينِ، وأوصاهُ في هذا الأمرِ أنْ لا يتَّبعَ آلِهَةً أُخرَى، فلَمْ يَحفَظْ ما أوصَى بهِ الرَّبُّ. فقالَ الرَّبُّ لسُلَيمانَ: «مِنْ أجلِ أنَّ ذلكَ عِندَكَ، ولَمْ تحفَظْ عَهدي وفَرائضيَ الّتي أوصَيتُكَ بها، فإنّي

أُمَزِّقُ المَملكَةَ عنكَ تمزيقًا وأُعطيها لعَبدِكَ. إلّا إنّي لا أفعَلُ ذلكَ في أيّامِكَ، مِنْ أجل داوُدَ أبيكَ، بل مِنْ يَدِ ابنِكَ أُمَزِّقُها. علَى أنّي لا أُمَزِّقُ مِنكَ المَملكَةَ كُلَّها، بل أُعطي سِبطًا واحِدًا لابنِكَ، لأجلِ داوُدَ عَبدي، ولأجلِ أورُشَليمَ الّتي اخترتُها».

١٤

انقسام مملكة

أرسل الله نبوءة على فم النبي أخيا الشيلوني إلى أحد الشباب الواعدين من رجال الملك سليمان، اسمه يربعام ابن ناباط، أخبره فيها أنه سيكون ملك إسرائيل القادم. سيحكم المملكة بكاملها، فيما عدا سبط واحد سيحكمه ملك آخر. وحاول يربعام التمرد على الملك سليمان، ولكنه تعلَّم أن ينتظر إلى أن يحدد الله له التوقيت المناسب.

ومن جهة أخرى لم يكن سليمان مستعدًا للتنازل عن العرش، لذلك قرر أن يقتل يربعام ليبعده عن المُلك. فهرب يربعام إلى مصر، وانتظر هناك فترة من الزمن إلى حين أن تأتي الفرصة المناسبة.

بعد موت سليمان، قام أبناء سبط يهوذا بتنصيب ابنه رحبعام ملكًا جديدًا، لكن عدد كبير من بقية الأسباط كانوا يشتكون من الضرائب الثقيلة وسخرة الأعمال في مشاريع سليمان الكبيرة. فذهب ممثلون عن الشعب ليرفعوا شكواهم إلى رحبعام.

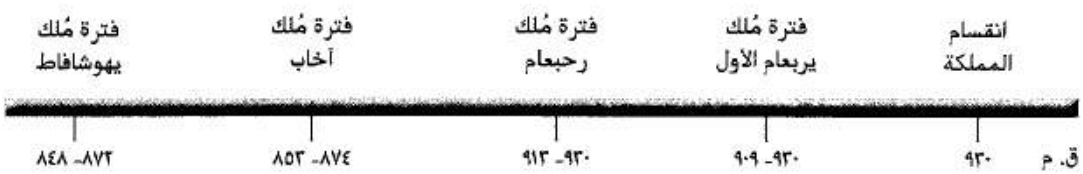

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

وذَهَبَ رَحُبعامُ إلَى شَكيمَ، لأنَّهُ جاءَ إلَى شَكيمَ جميعُ إسرائيلَ ليُمَلِّكوهُ. ولَمّا سمِعَ يَرُبعامُ بنُ نَباطَ وهو بَعدُ في مِصرَ، لأنَّهُ هَرَبَ مِنْ وجهِ سُلَيمانَ المَلِكِ، وأقامَ يَرُبعامُ في مِصرَ، وأرسَلوا فدَعَوْهُ. أتَى يَرُبعامُ وكُلُّ جَماعَةِ إسرائيلَ وكلَّموا رَحُبعامَ قائلينَ: «إنَّ أباكَ قَسَّى نيرَنا، وأمّا أنتَ فخَفِّفِ الآنَ مِنْ عُبوديَّةِ أبيكَ القاسيَةِ، ومِنْ نيرِهِ الثَّقيلِ الّذي جَعَلَهُ علَينا، فنَخدِمَكَ». فقالَ لهُمُ: «اذهَبوا إلَى ثَلاثَةِ أيّامٍ أيضًا ثُمَّ ارجِعوا إلَيَّ». فذَهَبَ الشَّعبُ.

فاستَشارَ المَلِكُ رَحُبعامُ الشُّيوخَ الّذينَ كانوا يَقِفونَ أمامَ سُلَيمانَ أبيهِ وهو حَيٌّ، قائلًا: «كيفَ تُشيرونَ أنْ أرُدَّ جَوابًا إلَى هذا الشَّعبِ؟» فكلَّموهُ قائلينَ: «إنْ صِرتَ اليومَ عَبدًا لهذا الشَّعبِ وخَدَمتَهُمْ وأجَبتَهُمْ وكلَّمتَهُمْ كلامًا حَسَنًا، يكونونَ لكَ عَبيدًا كُلَّ الأيّام». فترَكَ مَشورَةَ الشُّيوخِ الّتي أشاروا بها علَيهِ واستَشارَ الأحداثَ الّذينَ نَشأوا معهُ ووقَفوا أمامَهُ، وقالَ لهُمْ: «بماذا تُشيرونَ أنتُمْ فنَرُدَّ جَوابًا علَى هذا الشَّعبِ الّذينَ كلَّموني قائلينَ: خَفِّفْ مِنَ النّيرِ الّذي جَعَلَهُ علَينا أبوكَ». فكلَّمَهُ الأحداثُ الّذينَ نَشأوا معهُ قائلينَ: «هكذا تقولُ لهذا الشَّعبِ الّذينَ كلَّموكَ قائلينَ: إنَّ أباكَ ثَقَّلَ نيرَنا وأمّا أنتَ فخَفِّفْ مِنْ نيرِنا، هكذا تقولُ لهُمْ: إنَّ خِنصَري (إصبعي الصغير) أغلَظُ مِنْ مَتنَيْ (أسفل الظهر) أبي. والآنَ أبي حَمَّلكُمْ نيرًا ثَقيلًا وأنا أزيدُ علَى نيرِكُمْ. أبي أدَّبكُمْ بالسِّياطِ وأنا أؤَدِّبُكُمْ بالعَقارِبِ».

فجاءَ يَرُبعامُ وجميعُ الشَّعبِ إلَى رَحُبعامَ في اليومِ الثّالِثِ كما تكلَّمَ المَلِكُ قائلًا: «ارجِعوا إلَيَّ في اليومِ الثّالِثِ». فأجابَ المَلِكُ الشَّعبَ بقَساوَةٍ، وترَكَ مَشورَةَ الشيوخِ الّتي أشاروا بها علَيهِ، وكلَّمَهُمْ حَسَبَ مَشورَةِ الأحداثِ قائلًا: «أبي ثَقَّلَ نيرَكُمْ وأنا أزيدُ علَى نيرِكُمْ. أبي

أدَّبَكُمْ بالسّياطِ وأنا أؤَدِّبُكُمْ بالعَقارِبِ». ولَمْ يَسمَع المَلِكُ للشَّعبِ، لأنَّ السَّبَبَ كانَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ ليُقيمَ كلامَهُ الّذي تكلَّمَ بهِ الرَّبُّ عن يَدِ أخيّا الشّيلونيِّ إلَى يَرُبعامَ بنِ نَباطَ.

فلَمّا رأى كُلُّ إسرائيلَ أنَّ المَلِكَ لَمْ يَسمَعْ لهُمْ، رَدَّ الشَّعبُ جَوابًا علَى المَلِكِ قائلينَ:

«أيُّ قِسمٍ لنا في داوُدَ؟

ولا نَصيبَ لنا في ابنِ يَسَّى!

إلَى خيامِكَ يا إسرائيلُ.

الآنَ انظُرْ إلَى بَيتِكَ يا داوُدُ».

وذَهَبَ إسرائيلُ إلَى خيامِهِمْ. وأمّا بَنو إسرائيلَ السّاكِنونَ في مُدُنِ يَهوذا فمَلَكَ علَيهِمْ رَحُبعامُ.

نتيجة لموقف رحبعام المتشدد، لم يملك إلا على يهوذا (المنطقة الجنوبية الصغيرة)، في حين أن يربعام أصبح ملكًا على إسرائيل (المنطقة الشمالية الكبيرة). وكان الرب قد سبق وحذرهم بأن المملكة ستنقسم إلى قسمين، بسبب تهاون الملك سليمان في منع عبادة الأوثان في المملكة، وشمل الانقسام كل النواحي، انقسام في العبادة،، وفي السياسة، وفي نظام الكهنوت، وفي الأمن والسلامة. كانت مملكة إسرائيل المتحدة، قبل انقسامها، تمتلك جيشًا قويًا ظل على مدى جيلين متعاقبين هو مصدر اعتزاز الأمة، وكانت مخازنها ممتلئة دائمًا بالمعادن النفيسة، وكان الغذاء وفيرًا جدًا لكل سكانها، وكانت مدنها مزدحمة، وكان هناك نشاط دائم في الهيكل. ولكن ماذا سيحدث الآن لإسرائيل ويهوذا اللتين انقسمتا بسبب نزاع لم يستطع قادتهما أن يتجنباه؟

ثُمَّ أرسَلَ المَلِكُ رَحُبعامُ أدورامَ الّذي علَى التَّسخيرِ فرَجَمَهُ جميعُ إسرائيلَ بالحِجارَةِ فماتَ. فبادَرَ المَلِكُ رَحُبعامُ وصَعِدَ إلَى المَركَبَةِ ليَهرُبَ إلَى أورُشَليمَ. فعَصَى إسرائيلُ علَى بَيتِ داوُدَ إلَى هذا اليومِ. ولَمّا سمِعَ جميعُ إسرائيلَ بأنَّ يَرُبعامَ قد رَجَعَ، أرسَلوا فدَعَوْهُ إلَى الجَماعَةِ، ومَلَّكوهُ علَى جميعِ إسرائيلَ. لَمْ يتبَعْ بَيتَ داوُدَ إلّا سِبطُ يَهوذا وحدَهُ.

ولَمّا جاءَ رَحُبعامُ إلَى أورُشَليمَ جَمَعَ كُلَّ بَيتِ يَهوذا وسِبطَ بَنيامينَ، مِئَةً وثَمانينَ ألفَ مُختارٍ مُحارِبٍ، ليُحارِبوا بَيتَ إسرائيلَ ويَرُدّوا المَملكَةَ لَرَحُبعامَ بنِ سُلَيمانَ. وكانَ كلامُ اللهِ إلَى شِمَعيا رَجُلِ اللهِ قائلًا: «كلِّمْ رَحُبعامَ بنَ سُلَيمانَ مَلِكِ يَهوذا وكُلَّ بَيتِ يَهوذا وبَنيامينَ وبَقيَّةِ الشَّعبِ قائلًا: هكذا قالَ الرَّبُّ: لا تصعَدوا ولا تُحارِبوا إخوَتَكُمْ بَني إسرائيلَ. ارجِعوا كُلُّ واحِدٍ إلَى بَيتِهِ، لأنَّ مِنْ عِندي هذا الأمرَ». فسمِعوا لكلامِ الرَّبِّ ورَجَعوا ليَنطَلِقوا حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ.

وبَنَى يَرُبعامُ شَكيمَ في جَبَلِ أفرايِمَ وسَكَنَ بها. ثُمَّ خرجَ مِنْ هناكَ وبَنَى فنوئيلَ. وقالَ يَرُبعامُ في قَلبِهِ: «الآنَ ترجِعُ المَملكَةُ إلَى بَيتِ داوُدَ. إنْ صَعِدَ هذا الشَّعبُ ليُقَرِّبوا ذَبائحَ في بَيتِ الرَّبِّ في أورُشَليمَ، يَرجِعْ قَلبُ هذا الشَّعبِ إلَى سيِّدِهِمْ، إلَى رَحُبعامَ مَلِكِ يَهوذا ويَقتُلوني، ويَرجِعوا إلَى رَحُبعامَ مَلِكِ يَهوذا».

فاستَشارَ المَلِكُ وعَمِلَ عِجلَيْ ذَهَبٍ، وقالَ لهُمْ: «كثيرٌ عليكُمْ أنْ تصعَدوا إلَى أورُشَليمَ. هوذا آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ الّذينَ أصعَدوكَ مِنْ أرضِ مِصرَ». ووضَعَ واحِدًا في بَيتِ إيلَ، وجَعَلَ الآخَرَ في دانَ. وكانَ هذا الأمرُ خَطيَّةً. وكانَ الشَّعبُ يَذهَبونَ إلَى أمامِ أحَدِهِما حتَّى إلَى دانَ. وبَنَى بَيتَ المُرتَفَعاتِ، وصَيَّرَ كهَنَةً مِنْ أطرافِ الشَّعبِ لَمْ يكونوا

مِنْ بَني لاوي. وعَمِلَ يَرُبعامُ عيدًا في الشَّهرِ الثّامِنِ في اليومِ الخامِسَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ، كالعيدِ الّذي في يَهوذا، وأصعَدَ علَى المَذبَحِ. هكذا فعَلَ في بَيتِ إيلَ بذَبحِهِ للعِجلَينِ اللَّذَينِ عَمِلهُما. وأوقَفَ في بَيتِ إيلَ كهَنَةَ المُرتَفَعاتِ الّتي عَمِلها. وأصعَدَ علَى المَذبَحِ الّذي عَمِلَ في بَيتِ إيلَ في اليومِ الخامِسَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ الثّامِنِ، في الشَّهرِ الّذي ابتَدَعَهُ مِنْ قَلبِهِ، فعَمِلَ عيدًا لبَني إسرائيلَ، وصَعِدَ علَى المَذبَحِ ليوقِدَ.

وإذا برَجُلِ اللهِ قد أتَى مِنْ يَهوذا بكلامِ الرَّبِّ إلَى بَيتِ إيلَ، ويَرُبعامُ واقِفٌ لَدَى المَذبَحِ لكَيْ يوقِدَ. فنادَى نَحوَ المَذبَحِ بكلامِ الرَّبِّ وقالَ: «يا مَذبَحُ، يا مَذبَحُ، هكذا قالَ الرَّبُّ: هوذا سيولَدُ لبَيتِ داوُدَ ابنٌ اسمُهُ يوشيّا، ويَذبَحُ علَيكَ كهَنَةَ المُرتَفَعاتِ الّذينَ يوقِدونَ علَيكَ، وتُحرَقُ علَيكَ عِظامُ النّاسِ». وأعطَى في ذلكَ اليومِ عَلامَةً قائلًا: «هذِهِ هي العَلامَةُ الّتي تكلَّمَ بها الرَّبُّ: هوذا المَذبَحُ يَنشَقُّ ويُذرَى الرَّمادُ الّذي علَيهِ».

فلَمّا سمِعَ المَلِكُ كلامَ رَجُلِ اللهِ الّذي نادَى نَحوَ المَذبَحِ في بَيتِ إيلَ، مَدَّ يَرُبعامُ يَدَهُ عن المَذبَحِ قائلًا: «أمسِكوهُ». فيَبِسَتْ يَدُهُ (أصابها الشلل) الّتي مَدَّها نَحوَهُ ولَمْ يَستَطِعْ أنْ يَرُدَّها إليهِ. وانشَقَّ المَذبَحُ وذُرِيَ الرَّمادُ مِن عَلَى المَذبَحِ حَسَبَ العَلامَةِ الّتي أعطاها رَجُلُ اللهِ بكلامِ الرَّبِّ. فأجابَ المَلِكُ وقالَ لرَجُلِ اللهِ: «تضَرَّعْ إلَى وجهِ الرَّبِّ إلهِكَ وصَلِّ مِنْ أجلي فترجِعَ يَدي إلَيَّ». فتضَرَّعَ رَجُلُ اللهِ إلَى وجهِ الرَّبِّ فرَجَعَتْ يَدُ المَلِكِ إليهِ وكانتْ كما في الأوَّلِ.

بَعدَ هذا الأمرِ لَمْ يَرجِعْ يَرُبعامُ عن طريقِهِ الرَّديَّةِ، بل عادَ فعَمِلَ مِنْ أطرافِ الشَّعبِ كهَنَةَ مُرتَفَعاتٍ. مَنْ شاءَ مَلأَ يَدَهُ (كرّسه) فصارَ مِنْ كهَنَةِ المُرتَفَعاتِ.

في ذلكَ الزَّمانِ مَرِضَ أبيّا بنُ يَرُبعامَ. فقالَ يَرُبعامُ لامرأتِهِ: «قومي غَيِّري شَكلكِ حتَّى لا يَعلَموا أنَّكِ امرأةُ يَرُبعامَ واذهَبي إلَى شيلوهَ. هوذا هناكَ أخيّا النَّبيُّ الّذي قالَ عَنّي إنّي أملِكُ علَى هذا الشَّعبِ. وخُذي بيَدِكِ عَشرَةَ أرغِفَةٍ وكعكًا وجَرَّةَ عَسَلٍ، وسيري إليهِ وهو يُخبِرُكِ ماذا يكونُ للغُلامِ». ففَعَلَتِ امرأةُ يَرُبعامَ هكذا، وقامَتْ وذَهَبَتْ إلَى شيلوهَ ودَخَلَتْ بَيتَ أخيّا. وكانَ أخيّا لا يَقدِرُ أنْ يُبصِرَ لأنَّهُ قد قامَتْ (ضعفت) عَيناهُ بسَبَبِ شَيخوخَتِهِ. وقالَ الرَّبُّ لأخيّا: «هوذا امرأةُ يَرُبعامَ آتيَةٌ لتَسألَ مِنكَ شَيئًا مِنْ جِهَةِ ابنِها لأنَّهُ مَريضٌ. فقُلْ لها: كذا وكذا، فإنَّها عِندَ دُخولها تتَنكَّرُ».

فلَمّا سمِعَ أخيّا حِسَّ رِجلَيها وهي داخِلَةٌ في البابِ قالَ: «ادخُلي يا امرأةَ يَرُبعامَ. لماذا تتَنكَّرينَ وأنا مُرسَلٌ إلَيكِ بقَوْلٍ قاسٍ؟ اِذهَبي قولي ليَرُبعامَ: هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ: مِنْ أجلِ أنّي قد رَفَعتُكَ مِنْ وسطِ الشَّعبِ وجَعَلتُكَ رَئيسًا علَى شَعبي إسرائيلَ، وشَقَقتُ المَملكَةَ مِنْ بَيتِ داوُدَ وأعطَيتُكَ إيّاها، ولَمْ تكُنْ كعَبدي داوُدَ الّذي حَفِظَ وصاياي والّذي سارَ ورائي بكُلِّ قَلبِهِ ليَفعَلَ ما هو مُستَقيمٌ فقط في عَينَيَّ، وقَدْ ساءَ عَمَلُكَ أكثَرَ مِنْ جميعِ الّذينَ كانوا قَبلكَ، فسِرتَ وعَمِلتَ لنَفسِكَ آلِهَةً أُخرَى ومَسبوكاتٍ لتُغيظَني، وقَدْ طَرَحتَني وراءَ ظَهرِكَ. لذلكَ هأنَذا جالِبٌ شَرًّا علَى بَيتِ يَرُبعامَ، وأقطَعُ ليَرُبعامَ كُلَّ بائلٍ بحائطٍ (كناية عن الذكور) مَحجوزًا ومُطلَقًا (أسير او حر) في إسرائيلَ، وأنزِعُ آخِرَ بَيتِ يَرُبعامَ كما يُنزَعُ البَعرُ (روث الحيوان) حتَّى يَفنَى. مَنْ ماتَ ليَرُبعامَ في المدينةِ تأكُلُهُ الكِلابُ، ومَنْ ماتَ في الحَقلِ تأكُلُهُ طُيورُ السماءِ، لأنَّ الرَّبَّ تكلَّمَ.

وأنتِ فقومي وانطَلِقي إلَى بَيتِكِ، وعِندَ دُخول رِجلَيكِ المدينةَ

يَموتُ الوَلَدُ، ويَندُبُهُ جميعُ إسرائيلَ ويَدفِنونَهُ، لأنَّ هذا وحدَهُ مِنْ يَرُبعامَ يَدخُلُ القَبرَ، لأنَّهُ وُجِدَ فيهِ أمرٌ صالِحٌ نَحوَ الرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ في بَيتِ يَرُبعامَ. ويُقيمُ الرَّبُّ لنَفسِهِ مَلِكًا علَى إسرائيلَ يَقرِضُ بَيتَ يَرُبعامَ هذا اليومَ. وماذا؟ الآنَ أيضًا! ويَضرِبُ الرَّبُّ إسرائيلَ كاهتِزازِ القَصَبِ في الماءِ، ويَستأصِلُ إسرائيلَ عن هذِهِ الأرضِ الصّالِحَةِ الّتي أعطاها لآبائِهِمْ، ويُبَدِّدُهُمْ إلَى عَبرِ النَّهرِ لأنَّهُمْ عَمِلوا سواريَهُمْ وأغاظوا الرَّبَّ. ويَدفَعُ إسرائيلَ مِنْ أجلِ خطايا يَرُبعامَ الّذي أخطأَ وجَعَلَ إسرائيلَ يُخطِئُ».

فقامَتِ امرأةُ يَرُبعامَ وذَهَبَتْ وجاءَتْ إلَى تِرصَةَ، ولَمّا وصَلَتْ إلَى عَتَبَةِ البابِ ماتَ الغُلامُ، فدَفَنَهُ ونَدَبَهُ جميعُ إسرائيلَ حَسَبَ كلامِ الرَّبِّ الّذي تكلَّمَ بهِ عن يَدِ عَبدِهِ أخيّا النَّبيِّ.

وأمّا رَحُبعامُ بنُ سُلَيمانَ فمَلَكَ في يَهوذا. وكانَ رَحُبعامُ ابنَ إحدَى وأربَعينَ سنَةً حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ سبعَ عَشرَةَ سنَةً في أورُشَليمَ، المدينةِ الّتي اختارَها الرَّبُّ لوَضعِ اسمِهِ فيها مِنْ جميعِ أسباطِ إسرائيلَ، وعَمِلَ يَهوذا الشَّرَّ في عَينَي الرَّبِّ وأغاروهُ أكثَرَ مِنْ جميعِ ما عَمِلَ آباؤُهُمْ بخطاياهُمُ الّتي أخطأوا بها. وبَنَوْا هُم أيضًا لأنفُسِهِمْ مُرتَفَعاتٍ وأنصابًا وسَواريَ علَى كُلِّ تلٍّ مُرتَفِعٍ وتَحتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضراءَ. وكانَ أيضًا مأبونونَ (الشواذ جنسيًا) في الأرضِ، فعَلوا حَسَبَ كُلِّ أرجاسِ الأُمَمِ الّذينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أمامِ بَني إسرائيلَ.

وفي السَّنَةِ الخامِسَةِ للمَلِكِ رَحُبعامَ، صَعِدَ شيشَقُ مَلِكُ مِصرَ إلَى أورُشَليمَ، وأخَذَ خَزائنَ بَيتِ الرَّبِّ وخَزائنَ بَيتِ المَلِكِ، وأخَذَ كُلَّ شَيءٍ. وأخَذَ جميعَ أتراسِ الذَّهَبِ الّتي عَمِلها سُلَيمانُ. فعَمِلَ المَلِكُ رَحُبعامُ عِوَضًا عنها أتراسَ نُحاسٍ وسَلَّمَها ليَدِ رؤَساءِ السُّعاةِ

الحافِظينَ بابَ بَيتِ المَلِكِ. وكانَ إذا دَخَلَ المَلِكُ بَيتَ الرَّبِّ يَحمِلُها السُّعاةُ، ثُمَّ يُرجِعونَها إلَى غُرفَةِ السُّعاةِ.

وكانتْ حَربٌ بَينَ رَحُبعامَ ويَرُبعامَ كُلَّ الأيّامِ. ثُمَّ اضطَجَعَ رَحُبعامُ مع آبائِهِ، ودُفِنَ مع آبائِهِ في مدينةِ داوُدَ. واسمُ أُمِّهِ نِعمَةُ العَمّونيَّةُ. ومَلَكَ أبيامُ ابنُهُ عِوَضًا عنهُ.

وفي السَّنَةِ الثّامِنَةِ عَشرَةَ للمَلِكِ يَرُبعامَ بنِ نَباطَ، مَلَكَ أبيامُ علَى يَهوذا. مَلَكَ ثَلاثَ سِنينٍ في أورُشَليمَ، واسمُ أُمِّهِ مَعكَةُ ابنَةُ أبشالومَ. وسارَ في جميعِ خطايا أبيهِ الّتي عَمِلها قَبلهُ، ولَمْ يَكُنْ قَلبُهُ كامِلًا مع الرَّبِّ إلهِهِ كقَلبِ داوُدَ أبيهِ. ولكن لأجلِ داوُدَ أعطاهُ الرَّبُّ إلهُهُ سِراجًا في أورُشَليمَ، إذ أقامَ ابنَهُ بَعدَهُ وثَبَّتَ أورُشَليمَ. لأنَّ داوُدَ عَمِلَ ما هو مُستَقيمٌ في عَينَيِ الرَّبِّ ولَمْ يَحِدْ عن شَيءٍ مِمّا أوصاهُ بهِ كُلَّ أيّامِ حَياتِهِ، وبَقيَّةُ أُمورِ أبيامَ وكُلُّ ما عَمِلَ، أما هي مَكتوبَةٌ في سِفرِ أخبارِ الأيّامِ لمُلوكِ يَهوذا؟ وكانتْ حَربٌ بَينَ أبيامَ ويَرُبعامَ. ثُمَّ اضطَجَعَ أبيامُ مع آبائِهِ، فدَفَنوهُ في مدينةِ داوُدَ، ومَلَكَ آسا ابنُهُ عِوَضًا عنهُ.

وفي السَّنَةِ العِشرينَ ليَرُبعامَ مَلِكِ إسرائيلَ، مَلَكَ آسا علَى يَهوذا. مَلَكَ إحدَى وأربَعينَ سنَةً في أورُشَليمَ، واسمُ أُمِّهِ مَعكَةُ ابنَةُ أبشالومَ. وعَمِلَ آسا ما هو مُستَقيمٌ في عَينَيِ الرَّبِّ كداوُدَ أبيهِ، وأزالَ المأبونينَ مِنَ الأرضِ، ونَزَعَ جميعَ الأصنامِ الّتي عَمِلها آباؤُهُ، حتَّى إنَّ مَعكَةَ أُمَّهُ خَلَعَها مِنْ أنْ تكونَ مَلِكَةً، لأنَّها عَمِلَتْ تِمثالًا لساريَةٍ، وقَطَعَ آسا تِمثالها وأحرَقَهُ في وادي قدرونَ. وأمّا المُرتَفَعاتُ فلَمْ تُنزَعْ، إلّا إنَّ قَلبَ آسا كانَ كامِلًا مع الرَّبِّ كُلَّ أيّامِهِ. وأدخَلَ أقداسَ أبيهِ وأقداسَهُ إلَى بَيتِ الرَّبِّ مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ والآنيَةِ.

وكانتْ حَربٌ بَينَ آسا وبَعشا مَلِكِ إسرائيلَ كُلَّ أيّامِهِما. وصَعِدَ

بَعشا مَلِكُ إسرائيلَ علَى يَهوذا وبَنَى الرّامَةَ لكَيْ لا يَدَعَ أحَدًا يَخرُجُ أو يَدخُلُ إلَى آسا مَلِكِ يَهوذا. وأخَذَ آسا جميعَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ الباقيَةِ في خَزائنِ بَيتِ الرَّبِّ وخَزائنِ بَيتِ المَلِكِ ودَفَعَها ليَدِ عَبيدِهِ، وأرسَلهُمُ المَلِكُ آسا إلَى بَنهَدَدَ بنِ طَبريمونَ بنِ حَزيونَ مَلِكِ أرامَ السّاكِنِ في دِمَشقَ قائلًا: «إنَّ بَيني وبَينَكَ وبَينَ أبي وأبيكَ عَهدًا. هوذا قد أرسَلتُ لكَ هَديَّةً مِنْ فِضَّةٍ وذَهَبٍ، فتعالَ انقُضْ عَهدَكَ مع بَعشا مَلِكِ إسرائيلَ فيَصعَدَ عَنّي». فسمِعَ بَنهَدَدُ للمَلِكِ آسا وأرسَلَ رؤَساءَ الجُيوش الّتي لهُ علَى مُدُنِ إسرائيلَ، وضَرَبَ عُيونَ ودانَ وآبلَ بَيتِ مَعكَةَ وكُلَّ كِنَّروتَ مع كُلِّ أرضِ نَفتالي. ولَمّا سمِعَ بَعشا كفَّ عن بناءِ الرّامَةِ وأقامَ في تِرصَةَ. فاستَدعَى المَلِكُ آسا كُلَّ يَهوذا. لَمْ يَكُنْ بَريءٌ (أي بدون استثناء). فحَمَلوا كُلَّ حِجارَةِ الرّامَةِ وأخشابِها الّتي بَناها بَعشا، وبَنَى بها المَلِكُ آسا جَبعَ بَنيامينَ والمِصفاةَ.

وبَقيَّةُ كُلِّ أُمورِ آسا وكُلُّ جَبَروتِهِ وكُلُّ ما فعَلَ والمُدُنِ الّتي بَناها، أما هي مَكتوبَةٌ في سِفرِ أخبارِ الأيّامِ لمُلوكِ يَهوذا؟ غَيرَ أنَّهُ في زَمانِ شَيخوخَتِهِ مَرِضَ في رِجلَيهِ. ثُمَّ اضطَجَعَ آسا مع آبائهِ، ودُفِنَ مع آبائهِ في مدينةِ داوُدَ أبيهِ، ومَلَكَ يَهوشافاطُ ابنُهُ عِوَضًا عنهُ.

حكم يربعام على مملكة إسرائيل ٢٢ عامًا ثم مات. وتعاقب على حكم إسرائيل ويهوذا ملوك كثيرون كان أغلبهم أشرار، ولكن كان بينهم عدد قليل من الملوك الصالحين، مثل آسا ملك يهوذا، الذي عمل ما هو مستقيم في عينيّ الرب. فلقد نزع آسا الأصنام وخلّص المملكة منها. بل أيضًا عزل جدته معكة من منصبها (كملكة) بسبب استمرارها في عبادة الأوثان. ولم يتوقف آسا فقام بتطهير كل أرض يهوذا من العبادات الوثنية، لأنه كان يؤمن أن السيد الرب هو وحده المستحق العبادة.

والمؤسف أن ناداب ابن يربعام فعل كل ما هو شرير في عينيّ الرب متبعًا نفس طريق أبيه. فجاء رجل اسمه بعشا وتآمر على الملك ناداب وحاربه وقتله هو وكل أفراد عائلته، متممًا بذلك نبوءة الرب التي نطق بها النبي أخيا الشيلوني. ولكن بعشا أيضًا استمر في نفس الطريق الخاطئ وجعل إسرائيل يخطئ ويعبد الأوثان فغضب منه الرب. وملك بعده ابنه أيلة، ولكن أحد قادة جيشه، واسمه زمري، تآمر عليه وقتله هو وكل أفراد عائلته واستولى على الحكم. ولكن زمري لم يجلس على كرسي المملكة سوى سبعة أيام فقط، لأنه لم يكن له شعبية كبيرة، ولا الكثير من المؤيدين بالإضافة إلى أنه كان شريرًا ومصرًا على عبادة الأوثان. وثار الشعب على زمري واختاروا أحد قادة الجيش واسمه عمري ليكون ملكًا على إسرائيل. وذهب الشعب وحاصر بيت زمري، فخاف زمري وأشعل النار في قصره، ومات محروقًا بالنار. أما عمري فبعد أن تولى الملك، جعل السامرة عاصمة لإسرائيل (المملكة الشمالية).

وبعد موت عمري ملك ابنه أخآب على إسرائيل. ولكن السلطة الفعلية كانت في يد امرأته الشريرة إيزابل. كانت إيزابل امرأة وثنية، قاسية وقوية، وهي ابنة أحد الملوك الأجانب. عبد أخآب وامرأته إيزابل البعل وكرِها أنبياء الله، ومنهم كان إيليا النبي الذي اعتبراه العدو الأول لهما. ولكن الله رتب لمواجهة نارية، لكي يُظهر للشعب من هو الإله الحقيقي.

وأخآبُ بنُ عُمري مَلكَ علَى إسرائيلَ في السَّنَةِ الثّامِنَةِ والثَّلاثينَ لآسا مَلِكِ يَهوذا، ومَلكَ أخآبُ بنُ عُمري علَى إسرائيلَ في السّامِرَةِ اثنَتَينِ وعِشرينَ سنَةً. وعَمِلَ أخآبُ بنُ عُمري الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ أكثَرَ مِنْ جميعِ الّذينَ قَبلهُ. وكأنَّهُ كانَ أمرًا زَهيدًا سُلوكُهُ في خطايا يَرُبعامَ بنِ نَباطَ، حتَّى اتَّخَذَ إيزابَلَ ابنَةَ أثبَعَلَ مَلِكِ الصّيدونيّينَ امرأةً، وسارَ وعَبَدَ البَعلَ وسَجَدَ لهُ. وأقامَ مَذبَحًا للبَعلِ في بَيتِ البَعلِ الّذي بَناهُ في

السّامِرَةِ. وعَمِلَ أخآبُ سواريَ، وزادَ أخآبُ في العَمَلِ لإغاظَةِ الرَّبِّ إلهِ إسرائيلَ أكثَرَ مِنْ جميعِ مُلوكِ إسرائيلَ الّذينَ كانوا قَبلهُ. في أيّامِهِ بَنَى حيئيلُ البَيتَئيليُّ أريحا. بأبيرامَ بكرِهِ وضَعَ أساسَها، وبسَجوبَ صَغيرِهِ نَصَبَ أبوابَها، حَسَبَ كلامِ الرَّبِّ الّذي تكلَّمَ بهِ عن يَدِ يَشوعَ بنِ نونٍ.

١٥

أنبياء الله

قالَ إيليّا التِّشبيُّ مِنْ مُستَوْطِني جِلعادَ لأخآبَ: «حَيٌّ هو الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ الّذي وقَفتُ أمامَهُ، إنَّهُ لا يكونُ طَلٌّ ولا مَطَرٌ في هذِهِ السِّنينَ إلّا عِندَ قَوْلي».

وكانَ كلامُ الرَّبِّ لهُ قائلًا: «انطَلِقْ مِنْ هنا واتَّجِهْ نَحوَ المَشرِقِ، واختَبِئْ عِندَ نهرِ كريثَ الّذي هو مُقابِلُ الأُردُنِّ، فتشرَبَ مِنَ النَّهرِ. وقَدْ أمَرتُ الغِربانَ أنْ تعولكَ هناكَ». فانطَلَقَ وعَمِلَ حَسَبَ كلامِ الرَّبِّ، وذَهَبَ فأقامَ عِندَ نهرِ كريثَ الّذي هو مُقابِلُ الأُردُنِّ. وكانتِ الغِربانُ تأتي إليهِ بخُبزٍ ولَحمٍ صباحًا، وبخُبزٍ ولَحمٍ مساءً، وكانَ يَشرَبُ مِنَ النَّهرِ.

وبَعدَ أيّامٍ كثيرَةٍ كانَ كلامُ الرَّبِّ إلَى إيليّا في السَّنَةِ الثّالِثَةِ قائلًا: «اذهَبْ وتَراءَ لأخآبَ فأُعطيَ مَطَرًا علَى وجهِ الأرضِ». فذَهَبَ إيليّا ليَتَراءَى لأخآبَ. وكانَ الجوعُ شَديدًا في السّامِرَةِ.

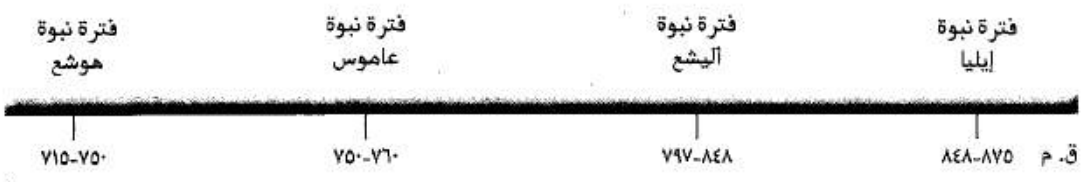

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

ولَمّا رأى أخآبُ إيليّا قالَ لهُ أخآبُ: «أأنتَ هو مُكَدِّرُ إسرائيلَ؟» فقالَ: «لَمْ أُكَدِّرْ إسرائيلَ، بل أنتَ وبَيتُ أبيكَ بتركِكُمْ وصايا الرَّبِّ وبسَيرِكَ وراءَ البَعليمِ. فالآنَ أرسِلْ واجمَعْ إلَيَّ كُلَّ إسرائيلَ إلَى جَبَلِ الكَرمَلِ، وأنبياءَ البَعلِ أربَعَ المِئَةِ والخَمسينَ، وأنبياءَ السَّواري أربَعَ المِئَةِ الّذينَ يأكُلونَ علَى مائدَةِ إيزابَلَ».

فأرسَلَ أخآبُ إلَى جميعِ بَني إسرائيلَ، وجَمَعَ الأنبياءَ إلَى جَبَلِ الكَرمَلِ. فتقَدَّمَ إيليّا إلَى جميع الشَّعبِ وقالَ: «حتَّى مَتَى تعرُجونَ (تترددون) بَينَ الفِرقَتينِ؟ إنْ كانَ الرَّبُّ هو اللهَ فاتَّبِعوهُ، وإنْ كانَ البَعلُ فاتَّبِعوهُ». فلَمْ يُجِبهُ الشَّعبُ بكلِمَةٍ. ثُمَّ قالَ إيليّا للشَّعبِ: «أنا بَقيتُ نَبيًّا للرَّبِّ وحدي، وأنبياءُ البَعلِ أربَعُ مِئَةٍ وخَمسونَ رَجُلًا. فليُعطونا ثَوْرَينِ، فيَختاروا لأنفُسِهِمْ ثَوْرًا واحِدًا ويُقَطِّعوهُ ويَضَعوهُ علَى الحَطَبِ، ولكن لا يَضَعوا نارًا. وأنا أُقَرِّبُ الثَّوْرَ الآخَرَ وأجعَلُهُ علَى الحَطَبِ، ولكن لا أضَعُ نارًا. ثُمَّ تدعونَ باسمِ آلِهَتِكُمْ وأنا أدعو باسمِ الرَّبِّ. والإلهُ الّذي يُجيبُ بنارٍ فهو اللهُ». فأجابَ جميعُ الشَّعبِ وقالوا: «الكلامُ حَسَنٌ».

فقالَ إيليّا لأنبياءِ البَعلِ: «اختاروا لأنفُسِكُمْ ثَوْرًا واحِدًا وقَرِّبوا أوَّلًا، لأنَّكُمْ أنتُمُ الأكثَرُ، وادعوا باسم آلِهَتِكُمْ، ولكن لا تضَعوا نارًا». فأخَذوا الثَّوْرَ الّذي أُعطيَ لهُمْ وقَرَّبوهُ، ودَعَوْا باسمِ البَعلِ مِنَ الصّباحِ إلَى الظُّهرِ قائلينَ: «يا بَعلُ أجِبنا». فلَمْ يَكُنْ صوتٌ ولا مُجيبٌ. وكانوا يَرقُصونَ حَوْلَ المَذبَحِ الّذي عُمِلَ. وعِندَ الظُّهرِ سخِرَ بهِمْ إيليّا وقالَ: «ادعوا بصوتٍ عالٍ لأنَّهُ إلهٌ! لَعَلَّهُ مُستَغرِقٌ أو في خَلوَةٍ أو في سفَرٍ! أو لَعَلَّهُ نائمٌ فيَتَنبَّهَ!» فصَرَخوا بصوتٍ عالٍ، وتَقَطَّعوا حَسَبَ عادَتِهِمْ بالسُّيوفِ والرِّماحِ حتَّى سالَ مِنهُمُ الدَّمُ. ولَمّا جازَ الظُّهرُ، وتَنبّأوا إلَى

حينِ إصعادِ التَّقدِمَةِ، ولَمْ يَكُنْ صوتٌ ولا مُجيبٌ ولا مُصغٍ.

قالَ إيليّا لجميعِ الشَّعبِ: «تقَدَّموا إلَيَّ». فتقَدَّمَ جميعُ الشعبِ إليهِ. فرَمَّمَ مَذبَحَ الرَّبِّ المُنهَدِمَ. ثُمَّ أخَذَ إيليّا اثنَيْ عشَرَ حَجَرًا، بعَدَدِ أسباطِ بَني يعقوبَ، الّذي كانَ كلامُ الرَّبِّ إليهِ قائلًا: «إسرائيلَ يكونُ اسمُكَ» وبَنَى الحِجارَةَ مَذبَحًا باسمِ الرَّبِّ، وعَمِلَ قَناةً حَوْلَ المَذبَحِ تسَعُ كيلَتينِ[1] مِنَ البَزرِ. ثُمَّ رَتَّبَ الحَطَبَ وقَطَّعَ الثَّوْرَ ووضَعَهُ علَى الحَطَبِ، وقالَ: «املأوا أربَعَ جَرّاتٍ ماءً وصُبّوا علَى المُحرَقَةِ وعلَى الحَطَبِ». ثُمَّ قالَ: «ثَنّوا» فثنَّوا. وقالَ: «ثَلِّثوا» فثَلَّثوا. فجَرَى الماءُ حَوْلَ المَذبَحِ وامتَلأتِ القَناةُ أيضًا ماءً.

وكانَ عِندَ إصعادِ التَّقدِمَةِ أنَّ إيليّا النَّبيَّ تقَدَّمَ وقالَ: «أيُّها الرَّبُّ إلهُ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ، ليُعلَمِ اليومَ أنَّكَ أنتَ اللهُ في إسرائيلَ، وأنّي أنا عَبدُكَ، وبأمرِكَ قد فعَلتُ كُلَّ هذِهِ الأُمورِ. استَجِبني يا رَبُّ استَجِبني، ليَعلَمَ هذا الشَّعبُ أنَّكَ أنتَ الرَّبُّ الإلهُ، وأنَّكَ أنتَ حَوَّلتَ قُلوبَهُمْ رُجوعًا». فسقَطَتْ نارُ الرَّبِّ وأكلَتِ المُحرَقَةَ والحَطَبَ والحِجارَةَ والتُّرابَ، ولَحَسَتِ المياهَ الّتي في القَناةِ. فلَمّا رأى جميعُ الشَّعبِ ذلكَ سقَطوا علَى وُجوهِهِمْ وقالوا: «الرَّبُّ هو اللهُ! الرَّبُّ هو اللهُ!». فقالَ لهُمْ إيليّا: «أمسِكوا أنبياءَ البَعلِ ولا يُفلِتْ مِنهُمْ رَجُلٌ». فأمسَكوهُم، فنَزلَ بهِمْ إيليّا إلَى نهرِ قيشونَ وذَبحَهُمْ هناكَ.

وقالَ إيليّا لأخآبَ: «اصعَدْ كُلْ واشرَبْ، لأنَّهُ حِسُّ دَويِّ مَطَرٍ». فصَعِدَ أخآبُ ليأكُلَ ويَشرَبَ، وأمّا إيليّا فصَعِدَ إلَى رأسِ الكَرمَلِ وخَرَّ إلَى الأرضِ، وجَعَلَ وجهَهُ بَينَ رُكبَتَيهِ. وقالَ لغُلامِهِ: «اصعَدْ تطَلَّعْ نَحوَ البحرِ». فصَعِدَ وتَطَلَّعَ وقالَ: «ليس شَيءٌ». فقالَ: «ارجِعْ» سبعَ مَرّاتٍ.

---

١ كيلتين: حوالي ١١ كيلو جرام.

وفي المَرَّةِ السّابِعَةِ قالَ: «هوذا غَيمَةٌ صَغيرَةٌ قدرُ كفِّ إنسانٍ صاعِدَةٌ مِنَ البحرِ». فقالَ: «اصعَدْ قُلْ لأخآبَ: اشدُدْ وانزِلْ لئَلّا يَمنَعَكَ المَطَرُ». وكانَ مِنْ هنا إلَى هنا أنَّ السماءَ اسوَدَّتْ مِنَ الغَيمِ والرّيح، وكانَ مَطَرٌ عظيمٌ. فرَكِبَ أخآبُ ومَضَى إلَى يَزرَعيلَ. وكانتْ يَدُ الرَّبِّ علَى إيليّا، فشَدَّ حَقوَيهِ ورَكَضَ أمامَ أخآبَ حتَّى تجيءَ إلَى يَزرَعيلَ.

لم تكن إيزابل من النوع الذي يستسلم للخسارة. لذلك لما رأى أخآب أن قدراته على المواجهة نفدت، قرر الاعتماد عليها، لتواصل ما فشل هو في تحقيقه. أما هي فكانت رغبتها في تحقيق الانتصار أشد من الشكوك التي راودتها بعد فشلها في أحداث جبل الكرمل.

وأخبَرَ أخآبُ إيزابَلَ بكُلِّ ما عَمِلَ إيليّا، وكيفَ أنَّهُ قَتَلَ جميعَ الأنبياءِ بالسَّيفِ. فأرسَلَتْ إيزابَلُ رَسولًا إلَى إيليّا تقولُ: «هكذا تفعَلُ الآلِهَةُ وهكذا تزيدُ، إنْ لَمْ أجعَلْ نَفسَكَ كنَفسِ واحِدٍ مِنهُمْ في نَحوِ هذا الوقتِ غَدًا». فلَمّا رأى ذلكَ قامَ ومَضَى لأجلِ نَفسِهِ، وأتَى إلَى بئرِ سبعٍ الّتي ليَهوذا وتَرَكَ غُلامَهُ هناكَ. ثُمَّ سارَ في البَرّيَّةِ مَسيرَةَ يومٍ، حتَّى أتَى وجَلَسَ تحتَ رَتَمَةٍ (شجر الرتم) وطَلَبَ الموتَ لنَفسِهِ، وقال: «قد كفَى الآنَ يا رَبُّ. خُذْ نَفسي لأنَّني لَستُ خَيرًا مِنْ آبائي».

واضطَجَعَ ونامَ تحتَ الرَّتَمَةِ. وإذا بمَلاكٍ قد مَسَّهُ وقالَ: «قُمْ وكُلْ». فتطَلَّعَ وإذا كعكَةٌ رَضفٍ وكوزُ ماءٍ عِندَ رأسِهِ، فأكلَ وشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ فاضطَجَعَ. ثُمَّ عادَ مَلاكُ الرَّبِّ ثانيةً فمَسَّهُ وقالَ: «قُمْ وكُلْ، لأنَّ المَسافَةَ كثيرَةٌ علَيكَ». فقامَ وأكلَ وشَرِبَ، وسارَ بقوَّةِ تِلكَ الأكلَةِ أربَعينَ نهارًا وأربَعينَ ليلَةً إلَى جَبَلِ اللهِ حوريبَ، ودَخَلَ هناكَ المُغارَةَ وباتَ فيها.

وكانَ كلامُ الرَّبِّ إليهِ يقولُ: «ما لكَ ههنا يا إيليّا؟» فقالَ: «قد غِرتُ

غَيرَةً للرَّبِّ إلهِ الجُنودِ، لأنَّ بَني إسرائيلَ قد تَرَكوا عَهدَكَ، ونَقَضوا مَذابِحَكَ، وقَتلوا أنبياءَكَ بالسَّيفِ، فبَقيتُ أنا وحدي، وهُم يَطلُبونَ نَفسي ليأخُذوها». فقالَ: «اخرُجْ وقِفْ على الجَبَلِ أمامَ الرَّبِّ». وإذا بالرَّبِّ عابِرٌ وريحٌ عظيمَةٌ وشَديدَةٌ قد شَقَّتِ الجِبالَ وكسَّرَتِ الصُّخورَ أمامَ الرَّبِّ، ولَمْ يَكُنِ الرَّبُّ في الرّيحِ. وبَعدَ الرّيحِ زَلزَلَةٌ، ولَمْ يَكُنِ الرَّبُّ في الزَّلزَلَةِ. وبَعدَ الزَّلزَلَةِ نارٌ، ولَمْ يَكُنِ الرَّبُّ في النّارِ. وبَعدَ النّارِ صوتٌ مُنخَفِضٌ خَفيفٌ.

فلَمّا سمِعَ إيليّا لَفَّ وجهَهُ بِردائهِ وخرجَ ووقَفَ في بابِ المُغارَةِ، وإذا بصوتٍ إليهِ يقولُ: «ما لكَ ههنا يا إيليّا؟» فقالَ: «غِرتُ غَيرَةً للرَّبِّ إلهِ الجُنودِ، لأنَّ بَني إسرائيلَ قد تَرَكوا عَهدَكَ، ونَقَضوا مَذابِحَكَ، وقَتلوا أنبياءَكَ بالسَّيفِ، فبَقيتُ أنا وحدي، وهُم يَطلُبونَ نَفسي ليأخُذوها». فقالَ لهُ الرَّبُّ: «اذهَبْ راجِعًا في طريقِكَ إلَى بَرّيَّةِ دِمشقَ، وادخُلْ وامسَحْ حَزائيلَ مَلِكًا على أرامَ، وامسَحْ ياهو بنَ نِمشي مَلِكًا على إسرائيلَ، وامسَحْ أليشَعَ بنَ شافاطَ مِنْ آبلَ مَحولَةَ نَبيًّا عِوَضًا عنكَ. فالّذي يَنجو مِنْ سيفِ حَزائيلَ يَقتُلُهُ ياهو، والّذي يَنجو مِنْ سيفِ ياهو يَقتُلُهُ أليشَعُ. وقَدْ أبقَيتُ في إسرائيلَ سبعَةَ آلافٍ، كُلَّ الرُّكَبِ الّتي لَمْ تجثُ للبَعلِ وكُلَّ فمٍ لَمْ يُقَبِّلهُ».

فذَهَبَ مِنْ هناكَ ووجَدَ أليشَعَ بنَ شافاطَ يَحرُثُ، واثنا عشَرَ فدّانَ (زوج) بَقرٍ قُدّامَهُ، وهو مع الثّاني عشَرَ. فمَرَّ إيليّا بهِ وطَرَحَ رِداءَهُ علَيهِ. فترَكَ البَقَرَ ورَكَضَ وراءَ إيليّا وقالَ: «دَعني أُقَبِّلُ أبي وأُمّي وأسيرُ وراءَكَ». فقالَ لهُ: «اذهَبْ راجِعًا، لأنّي ماذا فعَلتُ لكَ؟» فرَجَعَ مِنْ ورائهِ وأخَذَ فدّانَ بَقرٍ وذَبَحَهُما، وسَلَقَ اللَّحمَ بأدَواتِ البَقرِ وأعطَى الشَّعبَ فأكلوا. ثُمَّ قامَ ومَضَى وراءَ إيليّا وكانَ يَخدِمُهُ.

كان الملك أخآب مترددًا ومتذبذبًا بشكل دائم، فيومًا تراه يتصرف بسلطان الملك، وفي يوم آخر يبدو متخبطًا في قراراته. ففي إحدى المعارك سلّم الرب ليد أخآب عدوه اللدود، بنهدد ملك أرام، ولكن أخآب أبقى على حياته ولم يقتله. في حين أنه قتل مواطنًا اسمه نابوت اليزرعيلي لكي يستولى على كرمه. في النهاية مات الملك أخآب في معركة وقد كان متنكرًا في زي جندي، حيث أطلق واحد من جيش الأعداء سهمًا بدون قصد، فأصاب السهم أخآب ملك إسرائيل فمات. ومَلك من بعده ابنه أخزيا الذي لم تختلف تصرفاته على الإطلاق عن والديه، وبعد موته لم يخلفه أحد على العرش من أبنائه.

أما في يهوذا، فقد سار يهوشافاط ابن آسا في طريق أبيه، وعمل المستقيم في عيني الرب، فنجا من تهديدات أعدائه، وجعل المملكة الجنوبية تنمو وتزدهر.

وفي هذا الوقت كانت حياة إيليا قاربت على الانتهاء، فرتب له الرب طريقة فريدة لخروجه من العالم، لم يرتب في مثل عظمتها لأحد من قبل. وكان ذلك أيضًا برهانًا مقنعًا لخليفته أليشع بعدما حصل على رداء إيليا، رداء القوة الإلهية.

وكانَ عِندَ إصعادِ الرَّبِّ إيليّا في العاصِفَةِ إلَى السماءِ، أنَّ إيليّا وأليشَعَ ذَهَبا مِنَ الجِلجالِ. فقالَ إيليّا لأليشَعَ: «امكُثْ هنا لأنَّ الرَّبَّ قد أرسَلَني إلَى بَيتِ إيلَ». فقالَ أليشَعُ: «حَيٌّ هو الرَّبُّ، وحَيَّةٌ هي نَفسُكَ، إنّي لا أترُكُكَ». ونَزَلا إلَى بَيتِ إيلَ.

فذَهَبَ خَمسونَ رَجُلًا مِنْ بَني الأنبياءِ ووقَفوا قُبالَتَهُما مِنْ بَعيدٍ. ووقَفَ كِلاهُما بجانِبِ الأُردُنِّ. وأخَذَ إيليّا رِداءَهُ ولَفَّهُ وضَرَبَ الماءَ، فانفَلَقَ إلَى هنا وهناكَ، فعَبَرا كِلاهُما في اليَبَسِ. ولَمّا عَبَرا قالَ إيليّا لأليشَعَ: «اطلُبْ: ماذا أفعَلُ لكَ قَبلَ أنْ أوخَذَ مِنكَ؟». فقالَ أليشَعُ:

«لِيَكُنْ نَصيبُ اثنَينِ مِنْ روحِكَ عليَّ». فقالَ: «صَعَّبتَ السّؤالَ. فإنْ رأيتَني أوخَذُ مِنكَ يكونُ لكَ كذلكَ، وإلّا فلا يكونُ».

وفيما هُما يَسيرانِ ويَتكلَّمانِ إذا مَركَبَةٌ مِنْ نارٍ وخَيلٌ مِنْ نارٍ ففَصَلَتْ بَينَهُما، فصَعِدَ إيليّا في العاصِفَةِ إلَى السماءِ. وكانَ أليشَعُ يَرَى وهو يَصرُخُ: «يا أبي، يا أبي، مَركَبَةَ إسرائيلَ وفُرسانَها». ولَمْ يَرَهُ بَعدُ، فأمسَكَ ثيابَهُ ومَزَّقَها قِطعَتَينِ، ورَفَعَ رِداءَ إيليّا الّذي سقَطَ عنهُ، ورَجَعَ ووقَفَ علَى شاطِئِ الأُردُنِّ. فأخَذَ رِداءَ إيليّا الّذي سقَطَ عنهُ وضَرَبَ الماءَ وقالَ: «أين هو الرَّبُّ إلهُ إيليّا؟» ثُمَّ ضَرَبَ الماءَ أيضًا فانفَلَقَ (انشق إلى نصفين) إلَى هنا وهناكَ، فعَبَرَ أليشَعُ. ولَمّا رآهُ بَنو الأنبياءِ الّذينَ في أريحا قُبالَتَهُ قالوا: «قد استَقَرَّتْ روحُ إيليّا علَى أليشَعَ». فجاءوا لِلِقائِهِ وسَجَدوا لهُ إلَى الأرضِ.

اختفى إيليا، وترك أليشع ليستكمل المسيرة. ولقد أظهرت المعجزات العظيمة التي أجراها أليشع عظمة إلهه ومجده وقدرته غير المحدودة.

ففي إحدى المرات قام أليشع بتنقية نبع مياه ملوث، وجعله يخرج ماءً نقيًا عذبًا للمدينة بأكملها. وفي مرة أخرى تدخل أليشع لينقذ أرملة فقيرة مديونة من أن يُباع ولديها كعبيد، حيث جعل قليل من الزيت يفيض ويملأ أوانٍ كثيرة. والمعونة التي تلقاها أليشع من الآخرين ساعدته على تحمل المشقة. ففي إحدى المناسبات قدمت له امرأة غنية من بلدة شونم وجبة من الطعام، بل واتفقت أيضًا مع زوجها على تدبير مكان لأليشع في منزلهما ليبيت فيه كلما جاء لبلدتهما. فصلى أليشع للرب طالبًا أن يعطي هذه المرأة ابنًا لأنها كانت عاقرًا.

وفي ذاتِ يومٍ جاءَ إلَى هناكَ ومالَ إلَى العُلّيَّةِ واضطَجَعَ فيها. فقالَ لجيحزي غُلامِهِ: «ادعُ هذِهِ الشّونَمِيَّةَ». فدَعاها، فوَقَفَتْ أمامَهُ.

فقالَ لهُ: «قُلْ لها: هوذا قد انزَعَجتِ بسَبَبِنا كُلَّ هذا الإنزِعاجِ، فماذا يُصنَعُ لكِ؟ هل لكِ ما يُتكلَّمُ بهِ إلَى المَلِكِ أو إلَى رَئيسِ الجَيشِ؟» فقالَتْ: «إنَّما أنا ساكِنَةٌ في وسطِ شَعبي». ثُمَّ قالَ: «فماذا يُصنَعُ لها؟» فقالَ جيحزي: «إنَّهُ ليس لها ابنٌ، ورَجُلُها قد شاخَ». فقالَ: «ادعُها». فدَعاها، فوَقَفَتْ في البابِ. فقالَ: «في هذا الميعادِ نَحوَ زَمانِ الحياةِ تحتَضِنينَ ابنًا». فقالَتْ: «لا يا سيِّدي رَجُلَ اللهِ. لا تكذِبْ علَى جاريَتكَ». فحَبِلَتِ المَرأةُ وولَدَتِ ابنًا في ذلكَ الميعادِ نَحوَ زَمانِ الحياةِ، كما قالَ لها أليشَعُ.

كبر الولد ابن المرأة الشونمية، وحدث أن أصابه مرضٌ ومات. وبالرغم من الحزن والاكتئاب الذي أصابها بسبب موت ابنها بين يديها، إلا أن أول قرار اتخذته هو أنها وضعته على سرير أليشع، وسافرت لمقابلته.

فلَمّا جاءَتْ إلَى رَجُلِ اللهِ إلَى الجَبَلِ أمسَكَتْ رِجلَيهِ. فتقَدَّمَ جيحزي ليَدفَعَها، فقالَ رَجُلُ اللهِ: «دَعها لأنَّ نَفسَها مُرَّةٌ فيها والرَّبُّ كتَمَ الأمرَ عَنّي ولَمْ يُخبِرني». فقالَتْ: «هل طَلَبتُ ابنًا مِنْ سيِّدي؟ ألَمْ أقُلْ لا تخدَعني؟» فقالَ لجيحزي: «أُشدُدْ حَقَويكَ وخُذْ عُكّازي بيَدِكَ وانطَلِقْ، وإذا صادَفتَ أحَدًا فلا تُبارِكهُ، وإنْ بارَكَكَ أحَدٌ فلا تُجِبهُ. وضَعْ عُكّازي علَى وجهِ الصَّبيِّ». فقالَتْ أُمُّ الصَّبيِّ: «حَيٌّ هو الرَّبُّ، وحَيَّةٌ هي نَفسُكَ، إنَّني لا أترُكُكَ». فقامَ وتَبِعَها.

وجازَ جيحزي قُدّامَهُما ووضَعَ العُكّازَ علَى وجهِ الصَّبيِّ، فلَمْ يَكُنْ صوتٌ ولا مُصغٍ. فرَجَعَ لِلقائهِ وأخبَرَهُ قائلًا: «لَمْ يَنتَبِهِ الصَّبيُّ». ودَخَلَ أليشَعُ البَيتَ وإذا بالصَّبيِّ مَيتٌ ومُضطَجِعٌ علَى سريرِهِ. فدَخَلَ وأغلَقَ

البابَ علَى نَفسَيهِما كِلَيهِما، وصَلَّى إلَى الرَّبِّ. ثُمَّ صَعِدَ واضطَجَعَ فوقَ الصَّبيِّ ووضَعَ فمَهُ علَى فمِهِ، وعَينَيهِ علَى عَينَيهِ، ويَدَيهِ علَى يَدَيهِ، وتَمَدَّدَ علَيهِ فسخُنَ جَسَدُ الوَلَدِ. ثُمَّ عادَ وتَمَشَّى في البَيتِ تارَةً إلَى هنا وتارَةً إلَى هناكَ، وصَعِدَ وتَمَدَّدَ علَيهِ فعَطَسَ الصَّبيُّ سبعَ مَرّاتٍ، ثُمَّ فتحَ الصَّبيُّ عَينَيهِ. فدَعا جيحزي وقالَ: «اُدعُ هذِهِ الشّونَميَّةَ» فدَعاها. ولَمّا دَخَلَتْ إليهِ قالَ: «احمِلي ابنَكِ». فأتَتْ وسَقَطَتْ علَى رِجلَيهِ وسَجَدَتْ إلَى الأرضِ، ثُمَّ حَمَلَتِ ابنَها وخرجَتْ.

واحدة من أشهر المعجزات التي قام بها أليشع، بدأت بشهادة من فتاة يهودية صغيرة اسمها غير معروف، إذ أُخذت أسيرة عند الأعداء الأراميين، وكانت تعمل خادمة في منزل نعمان السرياني قائد جيش أرام. كان هذا الرجل مصابًا بالبرص فتعاطفت معه الفتاة الصغيرة، وطلبت منه أن يذهب لمقابلة رجل الله أليشع، لكي يشفيه من مرضه. فذهب نعمان السرياني لمقابلة أليشع، ولكن أليشع طلب منه طلبًا غريبًا. طلب منه أن يذهب لكي يغتسل في نهر الأردن. وعندما استجاب نعمان لهذا الطلب شُفيَ من مرضه في الحال. ولكن جيحزي خادم أليشع أراد انتهاز الفرصة، فذهب وراء نعمان لكي يطلب مقابل للمعجزة التي حدثت له. وبمجرد أن فعل جيحزي هذا، وبسبب جشعه، أصيب في الحال بالبرص. وعلم الجميع، بما فيهم ملك أرام، أنه لا يجب الاستخفاف بنبي الله ولا بالكلمة الخارجة من فمه.

وأمّا مَلِكُ أرامَ فكانَ يُحارِبُ إسرائيلَ، وتآمَرَ مع عَبيدِهِ قائلًا: «في المَكانِ الفُلانيِّ تكونُ مَحَلَّتي». فأرسَلَ رَجُلُ اللهِ إلَى مَلِكِ إسرائيلَ يقولُ: «احذَرْ مِنْ أنْ تعبُرَ بهذا المَوْضِعِ، لأنَّ الأراميّينَ حالّونَ هناكَ». فأرسَلَ مَلِكُ إسرائيلَ إلَى المَوْضِعِ الّذي قالَ لهُ عنهُ رَجُلُ اللهِ وحَذَّرَهُ

مِنهُ وتَحَفَّظَ هناكَ، لا مَرَّةً ولا مَرَّتَينِ. فاضطَرَبَ قَلبُ مَلِكِ أرامَ مِنْ هذا الأمرِ، ودَعا عَبيدَهُ وقالَ لهُمْ: «أما تُخبِرونَني مَنْ مِنّا هو لمَلِكِ إسرائيلَ؟» فقالَ واحِدٌ مِنْ عَبيدِهِ: «ليس هكذا يا سيِّدي المَلِكَ. ولكن أليشَعَ النَّبيَّ الّذي في إسرائيلَ، يُخبِرُ مَلِكَ إسرائيلَ بالأُمورِ الّتي تتَكلَّمُ بها في مُخدَعِ مِضطَجَعِكَ». فقالَ: «اذهَبوا وانظُروا أين هو، فأُرسِلَ وآخُذَهُ». فأُخبِرَ وقيلَ لهُ: «هوذا هو في دوثانَ».

فأرسَلَ إلَى هناكَ خَيلًا ومَركَباتٍ وجَيشًا ثَقيلًا، وجاءوا ليلًا وأحاطوا بالمدينةِ. فبَكَّرَ خادِمُ رَجُلِ اللهِ وقامَ وخرجَ، وإذا جَيشٌ مُحيطٌ بالمدينةِ وخَيلٌ ومَركَباتٌ. فقالَ غُلامُهُ لهُ: «آهِ يا سيِّدي! كيفَ نَعمَلُ؟» فقالَ: «لا تخَفْ، لأنَّ الّذينَ معنا أكثَرُ مِنَ الّذينَ معهُمْ». وصَلَّى أليشَعُ وقالَ: «يارَبُّ، افتَحْ عَينَيهِ فيُبصِرَ». ففَتَحَ الرَّبُّ عَينَيِ الغُلامِ فأبصَرَ، وإذا الجَبَلُ مَملوءٌ خَيلًا ومَركَباتِ نارٍ حَوْلَ أليشَعَ.

ولَمّا نَزَلوا إليهِ صَلَّى أليشَعُ إلَى الرَّبِّ وقالَ: «اضرِبْ هؤُلاءِ الأُمَمَ بالعَمَى». فضَرَبَهُمْ بالعَمَى كقَوْلِ أليشَعَ. فقالَ لهُمْ أليشَعُ: «لَيسَتْ هذِهِ هي الطريقَ، ولا هذِهِ هي المدينةَ. اتبَعوني فأسيرَ بكُمْ إلَى الرَّجُلِ الّذي تُفتِّشونَ علَيهِ». فسارَ بهِمْ إلَى السّامِرَةِ. فلَمّا دَخَلوا السّامِرَةَ قالَ أليشَعُ: «يارَبُّ افتَحْ أعيُنَ هؤُلاءِ فيُبصِروا». ففَتَحَ الرَّبُّ أعيُنَهُمْ فأبصَروا وإذا هُم في وسطِ السّامِرَةِ. فقالَ مَلِكُ إسرائيلَ لأليشَعَ لَمّا رآهُمْ: «هل أضرِبُ؟ هل أضرِبُ يا أبي؟» فقالَ: «لا تضرِبْ. تضرِبُ الّذينَ سبَيتَهُمْ بسَيفِكَ وبقَوْسِكَ. ضَعْ خُبزًا وماءً أمامَهُمْ فيأكُلوا ويَشرَبوا، ثُمَّ يَنطَلِقوا إلَى سيِّدِهِمْ». فأولَمَ لهُمْ وليمَةً عظيمَةً فأكلوا وشَرِبوا، ثُمَّ أطلَقَهُمْ فانطَلَقوا إلَى سيِّدِهِمْ. ولَمْ تعُدْ أيضًا جُيوشُ أرامَ تدخُلُ إلَى أرضِ إسرائيلَ.

كان أليشع النبي قد أمر قبل وفاته بمسح ياهو ملكًا على إسرائيل. وامتلأ ياهو بعد مسحه بغيرة مقدسة، فقاد مجموعة من أتباعه إلى بيت الملكة الشريرة إيزابل في مدينة يزرعيل، وهناك واجهها بشجاعة، وأمر الخدم بأن يلقوها من نافذة بيتها، ففعلوا هكذا وماتت الملكة الشريرة في هذا اليوم. وفي خلال أيام قليلة قُتل كل أفراد عائلة أخآب. وبهذا تحققت نبوة إيليا النبي التي قالها قبل عدة سنوات. ثم قام ياهو بعد ذلك بقتل كل كهنة البعل، لأنهم بالتأكيد سبب البُعد عن عبادة الإله الحقيقي، وكذلك هدم كل مذابح البعل.

لقد حكم إسرائيل ويهوذا ملوك كثيرين، قام بعضهم بإصلاحات دينية، في حين أضاع بعضهم إنجازات مَن سبقوه. فيهوآحاز ابن ياهو خسر كل جنوده في المعركة، ولكنه نجح في الإبقاء على مملكته متماسكة. وفي حوالي سنة ٧٩٧ ق.م استجاب النبي أليشع لتوسل الملك يهوآش ملك يهوذا وتنبأ له بانتصاره على الأراميين. وبالفعل انتصر يهوآش على أرام انتصارًا ساحقًا، وبعدها مات أليشع.

أما ملك إسرائيل يربعام الثاني، فعندما تولى الحكم، قام بتأمين حدود المملكة، ولكنه لم يهتم بتأمين العبادة الروحية. فزادت عبادة الآلهة الوثنية، وازدهرت صناعة الأصنام في زمن حكمه. لذلك أرسل الله لهم أحد الأنبياء حيث أبلغهم برسالة مرعبة عن العدل والدينونة.

أقوالُ عاموسَ الّذي كانَ بَينَ الرُّعاةِ مِنْ تقوعَ الّتي رآها عن إسرائيلَ، في أيّام عُزّيّا مَلِكِ يَهوذا، وفي أيّامِ يَرُبعامَ بنِ يوآشَ مَلِكِ إسرائيلَ، قَبلَ الزَّلزَلَةِ بسَنَتينِ. فقالَ:

اِسمَعوا هذا القَوْلَ الّذي تكلَّمَ بِهِ الرَّبُّ علَيكُمْ يا بَني إسرائيلَ، علَى كُلِّ القَبيلَةِ الّتي أصعَدتُها مِنْ أرضِ مِصرَ قائلاً:

«إيّاكُمْ فقط عَرَفتُ مِنْ جميعِ قَبائلِ الأرضِ،

لذلكَ أُعاقِبُكُمْ علَى جميعِ ذُنوبكُمْ».

نادوا علَى القُصورِ في أشدودَ،

وعلَى القُصورِ في أرضِ مِصرَ،

وقولوا: «اجتَمِعوا علَى جِبالِ السّامِرَةِ

وانظُروا شَغبًا عظيمًا في وسَطِها ومَظالِمَ في داخِلِها.

فإنَّهُمْ لا يَعرِفونَ أنْ يَصنَعوا الاِستِقامَةَ،

يقولُ الرَّبُّ.

أولئكَ الّذينَ يَخزِنونَ الظُّلمَ والاِغتِصابَ في قُصورِهِمْ.

لذلكَ هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:

ضيقٌ حتَّى في كُلِّ ناحيَةٍ مِنَ الأرضِ،

فيُنزِلَ عنكِ عِزَّكِ وتُنهَبُ قُصورُكِ».

قد أقسَمَ السَّيِّدُ الرَّبُّ بقُدسِهِ:

«هوذا أيّامٌ تأتي علَيكُنَّ،

يأخُذونَكُنَّ بخَزائمَ، وذُرّيَّتَكُنَّ بشُصوصِ السَّمَكِ.

ومِنَ الشُّقوقِ تخرُجنَ كُلُّ واحِدَةٍ علَى وجهِها،

وتَندَفِعنَ إلَى الحِصنِ،

يقولُ الرَّبُّ.

«وأنا أيضًا أعطَيتُكُمْ نَظافَةَ الأسنانِ في جميعِ مُدُنِكُمْ،

وعَوَزَ الخُبزِ في جميعِ أماكِنِكُمْ،

فلَمْ ترجِعوا إلَيَّ،

يقولُ الرَّبُّ.

أرسَلتُ بَينَكُمْ وبأً علَى طريقَةِ مِصرَ.
قَتَلتُ بالسَّيفِ فِتيانَكُمْ مع سبيِ خَيلِكُمْ،
وأصعَدتُ نَتنَ مَحالِّكُمْ حتَّى إلَى أُنوفِكُمْ،
فلَمْ ترجِعوا إلَيَّ،

يقولُ الرَّبُّ.

«لذلكَ هكذا أصنَعُ بكَ يا إسرائيلُ.
فمِنْ أجلِ أنّي أصنَعُ بكَ هذا،
فاستَعِدَّ لِلقاءِ إلهِكَ يا إسرائيلُ».

أُطلُبوا الرَّبَّ فتحيَوْا
لئَلّا يَقتَحِمَ بَيتَ يوسُفَ كنارٍ تُحرِقُ.
أُطلُبوا الخَيرَ لا الشَّرَّ لكَيْ تحيَوْا،
فعلَى هذا يكونُ الرَّبُّ إلهُ الجُنودِ معكُمْ كما قُلتُمْ
(هثلما ترددون باستمرار).
أُبغُضوا الشَّرَّ، وأحِبّوا الخَيرَ، وثَبِّتوا الحَقَّ في البابِ (باب القضاء)،
لَعَلَّ الرَّبَّ إلهَ الجُنودِ يتَراءَفُ علَى بَقيَّةِ يوسُفَ.

هوذا عَينا السَّيِّدِ الرَّبِّ علَى المَملكَةِ الخاطِئَةِ،
وأُبيدُها عن وجهِ الأرضِ.
غَيرَ أنّي لا أُبيدُ بَيتَ يعقوبَ تمامًا،

يقولُ الرَّبُّ.

بعد ذلك جاء هوشع نبيًا في إسرائيل. وسكب قلبه متوسلاً لأجل أمة رفضت أن تحب إلهها الأمين. وحذر هوشع المملكة الشمالية إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى الرب إلههم فسوف يواجهون عواقب خطيرة.

اِسمَعوا قَوْلَ الرَّبِّ يا بَني إسرائيلَ:
«إنَّ للرَّبِّ مُحاكَمَةً مع سُكّانِ الأرضِ،
لأنَّهُ لا أمانَةَ ولا إحسانَ ولا مَعرِفَةَ اللهِ في الأرضِ.
لَعنٌ[٢] وكذِبٌ وقَتلٌ وسِرقَةٌ وفِسقٌ.
يَعتَنِفونَ (يتعاملون بعنف)، ودِماءٌ تلحَقُ دِماءً.

أفعالُهُمْ لا تدَعُهُمْ يَرجِعونَ إلَى إلهِهِمْ،
لأنَّ روحَ الزِّنَى في باطِنِهِمْ،
وهُم لا يَعرِفونَ الرَّبَّ.
قد غَدَروا بالرَّبِّ.
لأنَّهُمْ ولَدوا أولادًا أجنَبيّينَ،
الآنَ يأكُلُهُمْ شَهرٌ مع أنصِبَتِهِمْ.
لأنّي لأفرايِمَ كالأسَدِ،
ولِبَيتِ يَهوذا كشِبلِ الأسَدِ.
فإنّي أنا أفتَرِسُ وأمضي وآخُذُ ولا مُنقِذٌ.
أذهَبُ وأرجِعُ إلَى مَكاني (أي أنتظر توبتهم).
حتَّى يُجازَوْا ويَطلُبوا وجهي.

---

٢ لعن: أي النطق بكلمات لشتيمة الآخرين.

في ضيقِهِمْ يُبَكِّرونَ إلَيَّ».

الآنَ يَذكُرُ إثمَهُمْ ويُعاقِبُ خَطيَّتَهُمْ.
إنهُم إلَى مِصرَ يَرجِعونَ.
وقَدْ نَسيَ إسرائيلُ صانِعَهُ وبَنَى قُصورًا،
وكثَّرَ يَهوذا مُدُنًا حَصينَةً.
لكني أُرسِلُ علَى مُدُنِهِ نارًا فتأكُلُ قُصورَهُ».

جاءَتْ أيّامُ العِقابِ.
جاءَتْ أيّامُ الجَزاءِ.
سيَعرِفُ إسرائيلُ. النَّبيُّ أحمَقُ.
إنسانُ الرّوحِ مَجنونٌ
مِنْ كثرَةِ إثمِكَ وكثرَةِ الحِقدِ.

اِرجِعْ يا إسرائيلُ إلَى الرَّبِّ إلهِكَ،
لأنَّكَ قد تعَثَّرتَ بإثمِكَ.
خُذوا معكُمْ كلامًا وارجِعوا إلَى الرَّبِّ.
قولوا لهُ: «ارفَعْ كُلَّ إثمٍ واقبَلْ حَسَنًا،
فنُقَدِّمَ عُجولَ شِفاهِنا.

رغم كثرة الأنبياء الذين حذروا شعب المملكة الشمالية، إلا أنهم لم يسمعوا ولم يستجيبوا، وقسَّوا قلوبهم، واستمروا في تجاهل دعوة الله لهم بالرجوع للسير في طرقه. فكل ملوك

المملكة الشمالية قادوا الشعب إلى فوضى روحية واجتماعية. وخلال الفترة من حكم يربعام الثاني إلى ظهور هوشع الملك، تولى حكم المملكة الشمالية خمسة ملوك قيل عنهم جميعًا إنهم صنعوا الشر في عينيّ الرب. وكلٍ منهم استولى على الحكم بالقوة، وانتهت حياة كل منهم بالقتل.

فحتى متى يظل هذا الشعب مصممًا أن يدير ظهره تجاه الله؟

١٦

بداية النهاية للمملكة

في السَّنَةِ الثّانيةَ عَشرَةَ لآحازَ مَلِكِ يَهوذا، مَلكَ هوشَعُ بنُ أيلَةَ في السّامِرَةِ علَى إسرائيلَ تِسعَ سِنينَ. وعَمِلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ، ولكن ليس كمُلوكِ إسرائيلَ الّذينَ كانوا قَبلهُ. وصَعِدَ علَيهِ شلمَنأسَرُ مَلِكُ أشّورَ، فصارَ لهُ هوشَعُ عَبدًا ودَفَعَ لهُ جِزيَةً. ووجَدَ مَلِكُ أشّورَ في هوشَعَ خيانَةً، لأنَّهُ أرسَلَ رُسُلاً إلَى سوا مَلِكِ مِصرَ، ولَمْ يؤَدِّ جِزيَةً إلَى مَلِكِ أشّورَ حَسَبَ كُلِّ سنَةٍ، فقَبَضَ علَيهِ مَلِكُ أشّورَ وأوثَقَهُ في السِّجنِ. وصَعِدَ مَلِكُ أشّورَ علَى كُلِّ الأرضِ، وصَعِدَ إلَى السّامِرَةِ وحاصَرَها ثَلاثَ سِنينَ. في السَّنَةِ التّاسِعَةِ لهوشَعَ أخَذَ مَلِكُ أشّورَ السّامِرَةَ، وسَبَى إسرائيلَ إلَى أشّورَ وأسكَنَهُمْ في حَلَحَ وخابورَ نهرِ جوزانَ وفي مُدُنِ مادي.

وكانَ أنَّ بَني إسرائيلَ أخطأوا إلَى الرَّبِّ إلهِهِمِ الّذي أصعَدَهُمْ مِنْ أرضِ مِصرَ مِنْ تحتِ يَدِ فِرعَوْنَ مَلِكِ مِصرَ، واتَّقوا آلِهَةً أُخرَى.

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

وعَمِلوا أُمورًا قَبيحَةً لإغاظَةِ الرَّبِّ. وعَبَدوا الأصنامَ الّتي قالَ الرَّبُّ لهُمْ عنها: «لا تعمَلوا هذا الأمرَ». وأشهَدَ الرَّبُّ علَى إسرائيلَ وعلَى يَهوذا عن يَدِ جميعِ الأنبياءِ وكُلِّ راءٍ قائلًا: «ارجِعوا عن طُرُقِكُمُ الرَّديئَةِ واحفَظوا وصاياىَ، فرائضي، حَسَبَ كُلِّ الشَّريعَةِ الّتي أوصَيتُ بها آباءَكُمْ، والّتي أرسَلتُها إلَيكُمْ عن يَدِ عَبيدي الأنبياءِ». فلَمْ يَسمَعوا بل صَلَّبوا أقفيَتَهُمْ كأقفيَةِ آبائِهِمِ الّذينَ لَمْ يؤمِنوا بالرَّبِّ إلهِهِمْ. فغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا علَى إسرائيلَ ونَحّاهُمْ مِنْ أمامِهِ، ولَمْ يَبقَ إلّا سِبطُ يَهوذا وحدَهُ. فسُبيَ إسرائيلُ مِنْ أرضِهِ إلَى أشّورَ إلَى هذا اليومِ.

كان الشائع قديمًا في زمن الإمبراطوريات، عدم أخذ أسرى بل إرهاب المهزوم. ولضمان عدم التمرد قام سرجون الثاني ملك أشور بترحيل ٢٧٠٠٠ شخصًا من المملكة الشمالية في إسرائيل، حيث أسكنهم في مدن بعيدة جدًا عن ديارهم بعد انهيار جيش إسرائيل، كما أنهى من إسرائيل أي مظهر من مظاهر الأمة أو تراثها.

أما في المملكة الجنوبية يهوذا، فكان الملك الشاب حزقيا يراقب التطورات التي تحدث في إسرائيل، وهو في غاية القلق. إذ كيف يدير شئون مملكته الصغيرة، وهو يرى أقوى جيش في العالم يعسكر عند حدوده الشمالية؟

وفي السَّنَةِ الثّالِثَةِ لهوشَعَ بنِ أيلَةَ مَلِكِ إسرائيلَ مَلكَ حَزَقيّا بنُ آحازَ مَلِكِ يَهوذا. كانَ ابنَ خَمسٍ وعِشرينَ سنَةً حينَ مَلكَ، ومَلكَ تِسعًا وعِشرينَ سنَةً في أورُشَليمَ، واسمُ أُمِّهِ أبي ابنَةُ زَكَريّا. وعَمِلَ المُستَقيمَ في عَينَي الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ ما عَمِلَ داوُدُ أبوهُ. هو أزالَ المُرتَفَعاتِ، وكسَّرَ التَّماثيلَ، وقَطَّعَ السَّواريَ.

وكانَ الرَّبُّ معهُ، وحَيثُما كانَ يَخرُجُ كانَ يَنجَحُ. وعَصَى على مَلِكِ أشّورَ ولَمْ يتَعَبَّدْ لهُ.

وأرسَلَ مَلِكُ أشّورَ ترتانَ ورَبساريسَ ورَبشاقَى مِنْ لَخيشَ إلَى المَلِكِ حَزَقيّا بجَيشٍ عظيمٍ إلَى أورُشَليمَ، فصَعِدوا وأتَوْا إلَى أورُشَليمَ. ولَمّا صَعِدوا جاءوا ووقَفوا عِندَ قَناةِ البِركَةِ العُليا الّتي في طريقِ حَقلِ القَصّارِ. ودَعَوْا المَلِكَ، فخرجَ إليهِمْ أليَاقيمُ بنُ حِلقيّا الّذي على البَيتِ وشِبنَةُ الكاتِبُ ويواخُ بنُ آسافَ المُسَجِّلُ.

فقالَ لهُمْ رَبشاقَى: «قولوا لحَزَقيّا: هكذا يقولُ المَلِكُ العظيمُ مَلِكُ أشّورَ: ما الإتِّكالُ الّذي اتَّكلتَ؟ قُلتَ إنَّما كلامُ الشَّفَتَينِ هو مَشورَةٌ وبأسٌ للحَربِ. والآنَ على مَنِ اتَّكلتَ حتَّى عَصَيتَ عليَّ؟ فالآنَ هوذا قد اتَّكلتَ على عُكّازِ هذِهِ القَصَبَةِ المَرضوضَةِ، على مِصرَ، الّتي إذا توَكّأَ أحَدٌ عليها، دَخَلَتْ في كفِّهِ وثَقَبَتها! هكذا هو فِرعَوْنُ مَلِكُ مِصرَ لجميعِ المُتَّكِلينَ عليهِ. وإذا قُلتُمْ لي: على الرَّبِّ إلهِنا اتَّكلنا، أفَليس هو الّذي أزالَ حَزَقيّا مُرتَفَعاتِهِ ومَذابِحَهُ، وقالَ ليَهوذا ولأورُشَليمَ: أمامَ هذا المَذبَحِ تسجُدونَ في أورُشَليمَ؟

والآنَ راهِنْ سيِّدي مَلِكَ أشّورَ، فأُعطيَكَ ألفَيْ فرَسٍ إنْ كُنتَ تقدِرُ أنْ تجعَلَ عليها راكِبينَ. فكيفَ ترُدُّ وجهَ والٍ (ضابط) واحِدٍ مِنْ عَبيدِ سيِّدي الصِّغارِ، وتَتَّكِلُ على مِصرَ لأجلِ مَركَباتٍ وفُرسانٍ؟ والآنَ هل بدونِ الرَّبِّ صَعِدتُ على هذا المَوْضِعِ لأخرِبَهُ؟ الرَّبُّ قالَ لي اصعَدْ على هذِهِ الأرضِ واخرِبها».

ثُمَّ وقَفَ رَبشاقَى ونادَى بصوتٍ عظيمٍ باليَهوديِّ وتكلَّمَ قائلًا: «اسمَعوا كلامَ المَلِكِ العظيمِ مَلِكِ أشّورَ. هكذا يقولُ المَلِكُ: لا يَخدَعكُمْ حَزَقيّا، لأنَّهُ لا يَقدِرُ أنْ يُنقِذَكُمْ مِنْ يَدِهِ، ولا يَجعَلكُمْ حَزَقيّا

تتَّكِلونَ علَى الرَّبِّ قائلًا: إنقاذًا يُنقِذُنا الرَّبُّ ولا تُدفَعُ هذِهِ المدينةُ إلَى يَدِ مَلِكِ أشّورَ. لا تسمَعوا لحَزَقيّا. لأنَّهُ هكذا يقولُ مَلِكُ أشّورَ: اعقِدوا مَعي صُلحًا، واخرُجوا إلَيَّ، وكُلوا كُلُّ واحِدٍ مِنْ جَفنَتِهِ وكُلُّ واحِدٍ مِنْ تينَتِهِ، واشرَبوا كُلُّ واحِدٍ ماءَ بئرِهِ حتَّى آتيَ وآخُذَكُمْ إلَى أرضٍ كأرضِكُمْ، أرضَ حِنطَةٍ وخمرٍ، أرضَ خُبزٍ وكُرومٍ، أرضَ زَيتونٍ وعَسَلٍ واحيَوْا ولا تموتوا. ولا تسمَعوا لحَزَقيّا لأنَّهُ يَغُرُّكُم قائلًا: الرَّبُّ يُنقِذُنا. هل أنقَذَ آلِهَةُ الأُمَمِ كُلُّ واحِدٍ أرضَهُ مِنْ يَدِ مَلِكِ أشّورَ؟

أرسل الملك سنحاريب قائد جيوشه لكي يرهب الملك حزقيا، الذي كان مخلصًا لله. ولما رأى حزقيا أنه سيواجه جيش يفوقه عددًا ويستطيع أن يهزمه هزيمة قاسية، ذهب إلى إشعياء النبي وتوسّل إليه أن يصلي من أجله، ويطلب من الله أن يساعده. واتضع حزقيا أمام الرب ومزق ثيابه وارتدى المسوح، وكان في قمة اليأس. بعدها جاء إشعياء النبي ونقل إلى حزقيا كلمة الرب القائلة إنه سيتخلص من سنحاريب ملك أشور وكل جيشه. ورغم أن حزقيا كان يعتقد أن كل السبل قد قطعت أمامه، إلا أن صلاته المتضعة جاءت بنتائج باهرة.

وسَمِعَ (سنحاريب) عن تُرهاقَةَ مَلِكِ كوشٍ قَوْلًا: «قد خرجَ ليُحارِبَكَ». فعادَ وأرسَلَ رُسُلًا إلَى حَزَقيّا قائلًا: «هكذا تُكلِّمونَ حَزَقيّا مَلِكَ يَهوذا قائلينَ: لا يَخدَعكَ إلهُكَ الّذي أنتَ مُتَّكِلٌ علَيهِ قائلًا: لا تُدفَعُ أورُشَليمُ إلَى يَدِ مَلِكِ أشّورَ. إنَّكَ قد سمِعتَ ما فعَلَ مُلوكُ أشّورَ بجميعِ الأراضي لإهلاكِها، وهل تنجو أنتَ؟ هل أنقَذَتْ آلِهَةُ الأُمَمِ هؤُلاءِ الّذينَ أهلكَهُمْ آبائي، جوزانَ وحارانَ ورَصفَ وبَني عَدَنَ الّذينَ في تلاسّارَ؟ أين مَلِكُ حَماةَ ومَلِكُ أرفادَ ومَلِكُ مدينةِ سفرَوايِمَ وهَينَعَ وعِوّا؟».

فأخَذَ حَزَقيّا الرَّسائلَ مِنْ أيدي الرُّسُلِ وقَرأها، ثُمَّ صَعِدَ إلَى بَيتِ الرَّبِّ، ونَشَرَها حَزَقيّا أمامَ الرَّبِّ. وصَلَّى حَزَقيّا أمامَ الرَّبِّ وقالَ: «أيُّها الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ، الجالِسُ فوقَ الكَروبيمَ، أنتَ هو الإلهُ وحدَكَ لكُلِّ مَمالِكِ الأرضِ. أنتَ صَنَعتَ السماءَ والأرضَ. أمِلْ يا رَبُّ أُذُنكَ واسمَعْ. اِفتَحْ يا رَبُّ عَينَيكَ وانظُرْ، واسمَعْ كلامَ سنحاريبَ الّذي أرسَلهُ ليُعَيِّرَ اللهَ الحَيَّ. حَقًّا يا رَبُّ إنَّ مُلوكَ أشّورَ قد خَرَّبوا الأُمَمَ وأراضيَهُمْ، ودَفَعوا آلِهَتَهُمْ إلَى النّارِ. ولأنَّهُمْ لَيسوا آلِهَةً، بل صَنعَةُ أيدي النّاسِ: خَشَبٌ وحَجَرٌ، فأبادوهُم. والآنَ أيُّها الرَّبُّ إلهنا خَلِّصنا مِنْ يَدِهِ، فتعلَمَ مَمالِكُ الأرضِ كُلها أنَّكَ أنتَ الرَّبُّ الإلهُ وحدَكَ».

فأرسَلَ إشَعيا بنُ آموصَ إلَى حَزَقيّا قائلًا: «هكذا قالَ الرَّبُّ إلهُ إسرائيلَ الّذي صَلَّيتَ إليهِ مِنْ جِهَةِ سنحاريبَ مَلِكِ أشّورَ: قد سمِعتُ. هذا هو الكلامُ الّذي تكلَّمَ بهِ الرَّبُّ علَيهِ:

مَنْ عَيَّرتَ وجَدَّفتَ[1]؟ وعلَى مَنْ عَلَّيتَ صوتًا؟

وقَدْ رَفَعتَ إلَى العَلاءِ عَينَيكَ علَى قُدّوسِ إسرائيلَ!

علَى يَدِ رُسُلِكَ عَيَّرتَ السيد.

ولكني عالِمٌ بجُلوسِكَ وخُروجِكَ

ودُخولكَ وهَيَجانِكَ علَيَّ.

لأنَّ هَيَجانَكَ علَيَّ وعَجرَفَتَكَ قد صَعِدا إلَى أُذُنيَّ،

أضَعُ خِزامَتي في أنفِكَ ولِجامي في شَفَتَيكَ،

وأرُدُّكَ في الطريقِ الّذي جِئتَ فيهِ.

---

١ جدفت: التجديف هو النطق بكلمات، أو فعل شيء، بقصد إهانة الله والتقليل من شأنه.

«لذلكَ هكذا قالَ الرَّبُّ عن مَلِكِ أشّورَ:
لا يَدخُلُ هذِهِ المدينةَ،
ولا يَرمي هناكَ سهمًا،
ولا يتَقَدَّمُ علَيها بتُرسٍ،
ولا يُقيمُ علَيها مِترَسَةً.
في الطريقِ الّذي جاءَ فيهِ يَرجِعُ،
وإلَى هذِهِ المدينةِ لا يَدخُلُ،
يقولُ الرَّبُّ.
وأُحامي عن هذِهِ المدينةِ
لأُخلِّصَها مِنْ أجلِ نَفسي
ومِنْ أجلِ داوُدَ عَبدي».

وكانَ في تِلكَ اللَّيلَةِ أنَّ مَلاكَ الرَّبِّ خرجَ وضَرَبَ مِنْ جَيشِ أشّورَ مِئَةَ ألفٍ وخَمسَةً وثَمانينَ ألفًا. ولَمّا بَكَّروا صباحًا إذا هُم جميعًا جُثَثٌ مَيتَةٌ. فانصَرَفَ سنحاريبُ مَلِكُ أشّورَ وذَهَبَ راجِعًا وأقامَ في نينَوَى. وفيما هو ساجِدٌ في بَيتِ نِسروخَ إلهِهِ، ضَرَبَهُ أدرَمَّلكُ وشَرآصَرُ ابناهُ بالسَّيفِ، ونَجَوا إلَى أرضِ أراراطَ. ومَلكَ آسَرحَدّونُ ابنُهُ عِوَضًا عنهُ.

بدأ إشعياء النبي (الذي فاق جميع الأنبياء في تسجيل أكبر عدد من النبوات المكتوبة) دوره في أورشليم (عاصمة يهوذا، المملكة الجنوبية) في عام ٧٤٠ ق. م، وذلك قبل وفاة عزيا الملك بوقت قصير. وقد نال إشعياء شهرة كبيرة في فترة حكم الملك حزقيا، حينما ساعده وشجعه على مواجهة ملك أشور وبالاعتماد على الله وحده. وهذا التصرف لا يمكن أن يصدر إلا من إيمان ثابت مؤسس على الصخر. بهذا الإيمان بدأ إشعياء النبي رسالته،

واستمر في تأديتها بعد دعوة واضحة، ليصبح نبيًا طوال فترة استمرت لمدة ٦٠ سنة.

في سنَةِ وفاةِ عُزّيّا المَلِكِ، رأيتُ السَّيِّدَ جالِسًا علَى كُرسيٍّ عالٍ ومُرتَفِعٍ، وأذيالُهُ تملأُ الهَيكلَ. السَّرافيمُ[٢] واقِفونَ فوقَهُ، لكُلٍّ واحِدٍ سِتَّةُ أجنِحَةٍ، باثنَينِ يُغَطّي وجهَهُ، وباثنَينِ يُغَطّي رِجلَيهِ، وبَاثنَينِ يَطيرُ. وهذا نادَى ذاكَ وقالَ:

«قُدّوسٌ، قُدّوسٌ، قُدّوسٌ رَبُّ الجُنودِ.

مَجدُهُ مِلءُ كُلِّ الأرضِ».

فاهتَزَّتْ أساساتُ العَتَبِ مِنْ صوتِ الصّارِخِ، وامتَلأَ البَيتُ دُخانًا.

فقُلتُ: «ويلٌ لي! إنّي هَلكتُ، لأني إنسانٌ نَجِسُ الشَّفَتَينِ، وأنا ساكِنٌ بَينَ شَعبٍ نَجِسِ الشَّفَتَينِ، لأنَّ عَينَيَّ قد رأتا المَلِكَ رَبَّ الجُنودِ». فطارَ إلَيَّ واحِدٌ مِنَ السَّرافيمِ وبيَدِهِ جَمرَةٌ (قطعة فحم متوهجة) قد أخَذَها بمِلقَطٍ مِنْ علَى المَذبَحِ، ومَسَّ بها فمي وقالَ: «إنَّ هذِهِ قد مَسَّتْ شَفَتَيكَ، فانتُزِعَ إثمُكَ، وكُفِّرَ عن خَطيَّتِكَ».

ثُمَّ سمِعتُ صوتَ السَّيِّدِ قائلًا: «مَنْ أُرسِلُ؟ ومَنْ يَذهَبُ مِنْ أجلِنا؟» فقُلتُ: «هأنَذا أرسِلني».

كان الأنبياء الكذبة يقولون ما يطلبه مستمعوهم، إذ يقدمون رسالتهم بما يرضي المستقبلين وما يتوافق مع توقعاتهم. أما الأنبياء الحقيقيون مثل إشعياء، فقد كانوا يبلغون كلمة الرب مباشرة دون الرضوخ لأي ضغوط سياسية. فلم يكن النبي الحقيقي يحابي الوجوه. ورسالة إشعياء كانت تحمل بعض الأخبار السيئة مثل سقوط أورشليم. وما أُعلن لابد أن يتم.

---

٢ السرافيم: ملائكة شغلهم الدائم هو التسبيح وعبادة الله.

فإنَّهُ هوذا السَّيِّدُ رَبُّ الجُنودِ
يَنزِعُ مِنْ أورُشَليمَ ومِنْ يَهوذا السَّنَدَ والرُّكنَ،
كُلَّ سنَدِ خُبزٍ، وكُلَّ سنَدِ ماءٍ.
الجَبّارَ ورَجُلَ الحَربِ.
القاضيَ والنَّبيَّ والعَرّافَ والشَّيخَ.
رَئيسَ الخَمسينَ والمُعتَبَرَ والمُشيرَ،
والماهِرَ بَينَ الصُّنّاعِ،
والحاذِقَ بالرُّقيَةِ (الساحر الماهر).
لأنَّ أورُشَليمَ عَثَرَتْ،
ويَهوذا سقَطَتْ،
لأنَّ لسانَهُما وأفعالَهُما ضِدَّ الرَّبِّ
لإغاظَةِ عَينَيْ مَجدِهِ.
نَظَرُ وُجوهِهِمْ يَشهَدُ علَيهِمْ،
وهُم يُخبِرونَ بخَطيَّتِهِمْ كسَدومَ. لا يُخفونَها.
ويلٌ لنُفوسِهِمْ لأنَّهُمْ يَصنَعونَ لأنفُسِهِمْ شَرًّا.
يا شَعبي، مُرشِدوكَ (الأنبياء الكذبة) مُضِلّونَ،
ويَبلَعونَ طريقَ مَسالِكِكَ.
قد انتَصَبَ الرَّبُّ للمُخاصَمَةِ،
وهو قائمٌ لدَينونَةِ الشُّعوبِ.

صوتُ جُمهورٍ علَى الجِبالِ
شِبهَ قَوْمٍ كثيرينَ.

صوتُ ضَجيجِ مَمالِكِ أُمَمٍ مُجتَمِعَةٍ.
رَبُّ الجُنودِ يَعرُضُ جَيشَ الحَربِ.
يأتونَ مِنْ أرضٍ بَعيدَةٍ،
مِنْ أقصَى السماواتِ،
الرَّبُّ وأدَواتُ سخَطِهِ ليُخرِبَ كُلَّ الأرضِ.

ابتعد الناس عن الله، وبالتالي واجهوا عاقبة ذلك سواء في تعرضهم للسبي أو للاضطهاد. ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد. فالله لم ينسهم، وأراد أن يسكب حبه ونعمته عليهم من جديد. لذلك أرسل الله لهم نبوات على يد إشعياء تخبرهم أنهم سوف يعودون من سبي بابل إلى بلادهم، وأنهم سوف يعيدون بناء أمّتهم، لأن الله هو وحده المتحكم في كل أمور العالم.

لأنَّ الرَّبَّ سيَرحَمُ يعقوبَ ويَختارُ أيضًا إسرائيلَ،
ويُريحُهُمْ في أرضِهِمْ،
فتقتَرِنُ بِهِم الغُرَباءُ ويَنضَمّونَ إلَى بَيتِ يعقوبَ.
ويأخُذُهُمْ شُعوبٌ ويأتونَ بِهِمْ إلَى مَوْضِعِهِمْ،
ويَمتَلِكُهُمْ بَيتُ إسرائيلَ في أرضِ الرَّبِّ عَبيدًا وإماءً،
ويَسبونَ الّذينَ سَبَوْهُمْ
ويَتَسَلَّطونَ علَى ظالِميهِمْ.

ويكونُ في يومٍ يُريحُكَ الرَّبُّ مِنْ تعَبِكَ ومِنِ انزِعاجِكَ، ومِنَ العُبوديَّةِ القاسيَةِ الّتي استُعبِدتَ بها، أنَّكَ تنطِقُ بهذا الهَجوِ (السخرية) علَى مَلِكِ بابِلَ وتَقولُ:
«كيفَ بادَ الظّالِمُ،

بادَتِ المُغَطرِسَةُ؟
قد كسَّرَ الرَّبُّ عَصا الأشرارِ،
قَضيبَ المُتَسَلِّطينَ.
هكذا قالَ الرَّبُّ:
«في وقتِ القُبول استَجَبتُكَ،
وفي يومِ الخَلاصِ أعَنتُكَ.
فأحفَظُكَ وأجعَلُكَ عَهدًا للشَّعبِ،
لإقامَةِ الأرضِ، لتَمليكِ أملاكِ البَراريِّ،
قائلاً للأسرَى: اخرُجوا.
للّذينَ في الظَّلامِ: اظهَروا.
ترَنَّمي أيَّتُها السماواتُ،
وابتَهِجي أيَّتُها الأرضُ.
لتُشِدِ الجِبالُ بالتَّرَنُّمِ،
لأنَّ الرَّبَّ قد عَزَّى شَعبَهُ،
وعلَى بائسيهِ يترَحَّمُ.
وقالَتْ صِهيَوْنُ:
«قد ترَكَني الرَّبُّ، وسَيِّدي نَسيَني».
«هل تنسَى المَرأةُ رَضيعَها فلا ترحَمَ ابنَ بَطنِها؟
حتَّى هؤُلاءِ يَنسَينَ، وأنا لا أنساكِ.
هوذا علَى كفَّيَّ نَقَشتُكِ.
أسوارُكِ أمامي دائمًا.
قد أسرَعَ بَنوكِ.

هادِموكِ ومُخرِبوكِ مِنكِ يَخرُجونَ.

اِرفَعي عَينَيكِ حَوالَيكِ وانظُري.

كُلُّهُمْ قد اجتَمَعوا، أتَوْا إلَيكِ.

حَيٌّ أنا، يقولُ الرَّبُّ،

إنَّكِ تلبَسينَ كُلَّهُمْ كحُليٍّ،

وتَتَنَطَّقينَ بِهِمْ كعَروسٍ.

فتعلَمينَ أنّي أنا الرَّبُّ الّذي لا يَخزَى مُنتَظِروهُ».

فيَعلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أنّي أنا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ،

وفاديكِ عَزيزُ يعقوبَ».

كان الوعد بعودة مملكة يهوذا من السبي إشارة إلى شيء آخر أكثر مجدًا سيحدث في المستقبل، ألا وهو خطة الله العظمى ليمنح شعبه حرية مطلقة ومجدًا لا ينتهيان. وانتهت نبوات إشعياء بالحديث عن الوعد بمجيء العبد المتألم، المسيا، الذي سيكون مجيئه هو بداية لمملكة مجيدة لا نهاية لها.

مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنا، ولِمَنِ استُعلِنَتْ ذِراعُ الرَّبِّ؟

نَبتَ قُدّامَهُ كفَرخٍ وكعِرقٍ (كغصن) مِنْ أرضٍ يابِسَةٍ،

لا صورَةَ لهُ ولا جَمالَ فنَنظُرَ إليهِ،

ولا مَنظَرَ فنَشتَهيهُ.

مُحتَقَرٌ ومَخذولٌ (مرفوض) مِنَ النّاسِ،

رَجُلُ أوجاعٍ ومُختَبِرُ الحَزَنِ،

وكمُستَتَرٍ عنهُ وُجوهنا،

مُحتقَرٌ فلَمْ نَعتَدَّ بهِ.

لكن أحزانَنا حَمَلها، وأوجاعَنا تحَمَّلها.

ونَحنُ حَسِبناهُ مُصابًا مَضروبًا مِنَ اللهِ ومَذلولًا.

وهو مَجروحٌ لأجلِ مَعاصينا، مَسحوقٌ لأجلِ آثامِنا.

تأديبُ سلامِنا علَيهِ، وبحُبُرِهِ شُفينا.

كُلُّنا كغَنَمٍ ضَلَلنا. مِلنا كُلُّ واحِدٍ إلَى طريقِهِ،

والرَّبُّ وضَعَ علَيهِ إثمَ جميعِنا.

ظُلِمَ أمّا هو فتذَلَّلَ ولَمْ يَفتَحْ فاهُ.

كشاةٍ تُساقُ إلَى الذَّبحِ،

وكنَعجَةٍ صامِتَةٍ أمامَ جازّيها فلَمْ يَفتَحْ فاهُ.

مِنَ الضُّغطَةِ ومِنَ الدَّينونَةِ أُخِذَ.

وفي جيلِهِ مَنْ كانَ يَظُنُّ أنَّهُ قُطِعَ مِنْ أرضِ الأحياءِ،

أنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أجلِ ذَنبِ شَعبي؟

وجُعِلَ مع الأشرارِ قَبرُهُ،

ومَعَ غَنيٍّ عِندَ موتِهِ.

علَى أنَّهُ لَمْ يَعمَلْ ظُلمًا،

ولَمْ يَكُنْ في فمِهِ غِشٌّ.

أمّا الرَّبُّ فسُرَّ بأنْ يَسحَقَهُ بالحَزَنِ.

إنْ جَعَلَ نَفسَهُ ذَبيحَةَ إثمٍ يَرَى نَسلًا تطولُ أيّامُهُ،

ومَسَرَّةُ الرَّبِّ بيَدِهِ تنجَحُ.

مِنْ تعَبِ نَفسِهِ يَرَى ويَشبَعُ،

وعَبدي البارُّ بمَعرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كثيرينَ،

وآثامُهُمْ هو يَحمِلُها.
لذلكَ أقسِمُ لهُ (أعطيه نصيبًا) بَينَ الأعِزّاءِ
ومَعَ العُظَماءِ يَقسِمُ غَنيمَةً،
مِنْ أجلِ أنَّهُ سكَبَ للموتِ نَفسَهُ
وأُحصيَ مع أثَمَةٍ،
وهو حَمَلَ خَطيَّةَ كثيرينَ
وشَفَعَ في المُذنِبينَ.

بعد موت الملك الصالح حزقيا ودفنه، جلس على العرش ابنه منسى. ولكن للأسف لم يتبع منسى الطريق الصالح الذي سار فيه أبوه. لقد اتسمت فترة حكم منسى بالممارسات الوثنية الكريهة، وبالقمع الوحشي. وكان الأتقياء[٣] من الشعب يتذكرون بسرور أيام حزقيا الجيدة، ويتذكرون بالسوء خداع منسى وممارساته الخائنة.

٣ الأتقياء: الشخص التقي هو الذي يعطي مكانة لله فوق أي شخص أو شيء، وهو الذي يحيا حياة طاعة وخضوع لله.

القصة أعظم قصة شهدها التاريخ

تخبرنا **القصة** عن عمل الله العظيم
من أجل إنقاذ وخلاص العالم، **"قصة محبة الله للإنسان"**.
والتي تدور أحداثها في ٣١ فصل شيق وبسيط،
نقرأ فيها أجزاء من الكتاب المقدس
ونتعرف من خلالها على العديد
من الأحداث والشخصيات.

نُسجت أحداث **القصة** في سياق متسلسل ومتكامل
بداية من سفر التكوين وحتى نهاية سفر الرؤيا،
بطريقة عميقة وشيقة مليئة بالمواقف والصراعات
والتحديات والأحداث المؤثرة
التي توجت بفداء الله وخلاصه للبشرية.

القصة، هي قصة حقيقية

دار الكتاب المقدس
The Bible Society of Egypt

9789772304479